ما الحقيقة؟

زمزم منصور القطان

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

ما الحقيقة؟

زمزم منصور القطان

موقع الأوحد
Awhad.com

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

حقوق الطبع محفوظة

دولة الكويت
الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه»

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«من عرف نفسه فقد عرف ربه»

كلمـــة

(مـا الحقيقـة) هـو بحـث طُـرِح فـي دورة الإمام جعفـر الصـادق عليه السلام الثامنـة، فـي حـوزة النوريـن النيّريـن أمـير المؤمنـين وفاطمـة الزهـراء عليهما السلام.

تحـت إشراف: الشيخ حسين المطوع، والشيخ علي الجدي حفظهما الله.

وقـد طلب منّـا المحاضر الشيخ حسـين المطوع أن نبحـث في هذا الموضـوع (ما الحقيقة) ونقدمه في شـكل مسابقـة، والحمـدلله والشكـر لله كان بحثـي المتواضـع مـن البحـوث الفائـزة، فأحببـت أن أوسع فيه وأقدمه على شكل كتاب للاستفادة منه.

راجيـة مـن المـولى عـز وجـل أن يقبـل منـي هذا الجهد المتواضع.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن حقيقة الإنسانية هي الحجّة الكبرى للإله، والمرآة الصافية التي تعكس الولاية المطلقة، وهي التي تستلهم من ولي عصرها وإمام زمانها، وهي مستمرة في إرشادك وتربيتك دائماً.

شمّر عن ساعدك الجدّ، واعقد عزمك بإرادة حديدية لا تنثني على معرفة ذاتك التي تشاهد خالقها، كي تتعرف على المربّي الأعظم لعالم الإمكان، وعن طريق وليّ الله تعالى، تصل في معرفة الخالق عز وجل إلى مرتبة حق اليقين، وعندها تتخلص وتنجو من الغصص والآلام.

فقرة من كتاب
رسالة الإنسانية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وشيعتهم الأنجبين ولعنة الله على أعدائهم ومنكري فضائلهم من أول الدنيا إلى أبد الآبدين.

أمتاز العصر الحاضر بالتطور السريع والتقدم الهائل في الجوانب المادية، وذلك باختراع التكنولوجيا المتطورة والأجهزة الميكانيكية الحديثة وصولاً إلى الفضاء حتى توّفر للبشرية الحياة المترفة والراحة والاستقرار، وغضّوا النظر عن الجانب المعنوي وهو (كيف يكون الشخص إنساناً؟) ذلك باتباعهم للميول والأهواء والشهوات التي تتناقض مع القوانين التكوينية والاجتماعية والصحية التي جرّت البشرية من حدود الإنسانية إلى منحدر الحيوانية.

هذه الاختراعات والاكتشافات -وإن كانت مثيرة للإعجاب- إلا أنها فنون وأساليب سهلة المنال، يستطيع الفرد أن يصل إلى الدرجات العُليا فيها بالدراسة والتعليم والممارسة فيكون طبيباً، مهندساً، كيماوياً، سياسياً، مليونيراً، مجتهداً، مُرشداً، خطيباً، مُربياً.. ولكن ما يشقّ الوصول إليه هو أن يكون إنساناً ويحقق الحياة الإنسانية لأنها تتطلب مكافحة شهوات النفس الأمارة، وصدق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال: «**بقي عليكم الجهاد الأكبر**»، يعني بذلك هو أن الانتصار على العدو هو الجهاد الأصغر في حين أن الجهاد الأكبر هو الكفاح مع النفس الأمارة بالسوء.

هـذا ما دعى مكتشف البخار ومخـترع الطاقة الكهربائية يركعان أمام تمثـال السيد المسيـح عليه السلام، ودعى مفجّر الـذرة إلى أن ينحني إجلالاً أمام أمير المؤمنين عليه السلام لأنهم عرفوا الإنسان وتمنّوا الإنسانية واعترفـوا بأن المقـام السامـي للإنسانية أرفع وأعلى قـدراً من هذه المراتب العلمية التي وصلوا إليها.

إذن، ليسـت الإنسانية عملاً ميسوراً لـكل أحد، إنها تتطلب نكران الـذات والرياضـة النفسيـة والتهيؤ الكامـل والإيمـان العميق بالله العظيم ويوم الحساب.

فـإذا استطـاع أن يصل إلى المقـام الأسنى للإنسانيـة، بتخلّصه عن الأخـلاق الذميمة، والتخلّي عن البهيميـة والاتصاف بالصفات والكمالات اللائقة بالإنسان عند ذلك يحقّ له أن يفخر ويزهو.

أجل!!

الحياة الإنسانية لا تتحقق إلاّ بالارتباط بالإنسان الكامل الحقيقي وهـو خاتم الرسل وهادي السبل محمـد المصطفى وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، فهم جوهر الإنسانية، وكل من ارتبط بهم واقتدى بهـم في عقيدته وأخلاقه وأعماله وإيمانه كل حسب طاقته، كما قال المولى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**نحن الناس، وشيعتنا أشباه الناس، وباقي الناس نسناس**».

محمـداً وأهـل بيته صلـوات الله عليهم هم النـاس، أشباه الناس أي المشابهـون للنسخـة الكاملة للإنسـان هم سلمـان المحمدي وأبا ذر الغفـاري والمقداد وعمار وميثـم وغيرهم أما النسناس هم من لم

يرتبط بالإنسان الكامل فهو فاقد الإنسانية وليس هو سوى حيوان يمشي على قدمين ويؤكد على ذلك قول عليّ بن يقطين للإمام موسى الكاظم عليه السلام: «ما أكثر الحجاج في هذه السنة؟ بإشارة من الإمام زالت الحجب منه، فرأى أغلبهم قردةً وخنازير فقال: ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج».

فالإنسان الحقيقي هو الذي تجسد بأنوار المعصومين الأربعة عشر صلوات الله عليهم أجمعين وكل من استفاد من إنسانيتهم واتصل بهم يكون الابن الروحي لأمير المؤمنين علي عليه السلام ومن بقايا طينته، قول الإمام الصادق عليه السلام: «**رحم الله شيعتنا، خُلِقوا من فاضل طينتنا**» أي خُلِقوا من شعاع أنوار أجسادهم.

وبعون من الله سبحانه وتعالى سوف نتناول بحثنا (ما الحقيقة؟) وكيف الوصول إلى معرفة الحقيقة الإنسانية التي هي الصراط المستقيم لمعرفة الله «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**».

جَوْهَرُ الإنسانية

يـا جوهر الإنسانية، أبحث عنك وأتكلم معك... فأنت غاية مناي، وأنـت محبوبي الوحيد، أنت الذي أمرني ربي بمعرفتك، واعتبر ذلك طريقاً لمعرفته[1].

أيها الطائر المحلّق في عالم الإمكان...

أيتها الدرّة المشعة في عالم الوجود...

أيتها المرآة العاكسة لصفات الأحدية...

يـا مـرآة جمال الحق! يـا من تقيمين فـي كل زاوية مـن روحي[2] وجسـدي، وتتحدّثـين معي بـين الفنية والأخرى بلا حاجـب وستار.. إليك أتحدّث!

أنت أقرب إليّ من كل قريب وصديق، تُسدين إليّ النصائح أحياناً بلسـان أشدّ حناناً مـن الوالدين، وترشدينني بمواعظـك القيّمة إلى التـزام الخصـال الحميـدة واجتناب الرذائـل، وأحيانـاً تكونين لي صديقـاً حميمـاً يؤنسني في ساعـات الوحشة والسـأم.. أنتِ القائد الصادق.. أنتِ الطبيب الحاذق.

تملكـين الـرأي الصائب، والـكلام العـذب، والنظـرة البصيرة، والصوت المُنعش.

أنتِ معي في كل آن، أنت الصاحب والزميل والصديق والجليسَ!!

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

(٢) الروح الإنسانية، أو الجوهر الحقيقي للإنسان، لو سلمت من الرذائل فإنها خير مرشد ودليل للفرد.

أجل، يا حقيقتـي الطاهرة... أنتِ مصـداق الإنسانية والآدمية.. أنتِ خليفة الحق والحقيقة... أنتِ التي خلق الله الرحمن الرحيم كل شيء لأجلكِ، وخلقكِ لأجل نفسه.

إيهاً يا ملاكي الطاهر!

لقـد طهر أشـرف جارحة في كيـاني[١] من الوسواس الخنّاس، ولم يحـرق لهيب عشقك الغرباء فحسب، بل أفنـى التوجّه إلى ذاتي ونفسي.

قسمـاً بخالقك المحبّ للجمال[٢]، إنّي عرفـت إحاطتك بالبيّنات، والفوائـد الناجمة من التعرّف عليك ومصاحبتك، والسعادة الكامنة في ملازمتك.

أجـل، فـإنّ معرفـة السلطـان العظيم الـذي خلق العـالم بأسره، مرتبطـة بمعرفتك أيهـا المحبوب، ولا طريـق إلى التعرف على المعلم الأزلي غير الحضور في درسك والتلمّذ عليك[٣].

من كلمات العبد الصالح
ميرزا حسن الأحقاقي
من كتاب رسالة الإنسانية

(١) يقصد به القلب.
(٢) إشارة إلى الحديث المشهور: «إنّ الله جميلٌ يحب الجمال».
(٣) من عرف نفسه فقد عرف ربه.

● **حديث كميل حين سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحقيقة:**

سأل كميل -رضوان الله تعالى عليه- أمير المؤمنين عليه السلام:

ما الحقيقة؟

فقال عليه السلام: ما لك والحقيقة يا كميل؟

فقال كميل: أولست صاحب سرّك؟

قال عليه السلام: بلى، ولكن يرشح عليك ما يطفح مني.

قال كميل: أوَ مثلك يخيب سائلاً؟

قال عليه السلام: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة.

قال كميل: زدني بياناً.

قال عليه السلام: محو الموهوم وصحو المعلوم.

قال كميل: زدني بياناً.

قال عليه السلام: هتك الستر وغلبة السرّ.

قال كميل: زدني بياناً.

قال عليه السلام: جذب الأحدية لصفة التوحيد.

قال كميل: زدني بياناً.

قال عليه السلام: أطفئ السراج، فقد طلع الصبح.

ما الحقيقة التي سأل عنها كميل؟

قبل التعرف ما الحقيقة التي سأل عنها كميل لا بد أن نعرف أن جميع المخلوقات مخلوقة لها وبها وإليها ومنها. ما من شيء في الوجود نال وحاز التعيّن والتشخص بطوله وتمامه إلاّ بالحقيقة.

والحديث الذي دار بين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والصحابي الجليل كميل بن زياد حيث أوضح أمير المؤمنين عليه السلام فيه ست مقامات للتعرف على الحقيقة وفي كل مرة يقول كميل زدني فيه بياناً.

وهذا يعني أن كميل لم يصل إلى **مقام معرفة سر الإسم الأعظم** الذي وصل إليه سلمان الفارسي لاندكاه بالحقيقة وانصهاره فيها حتى صار سلمان صاحب مقام البرزخ بين الأولياء والأئمة عليهم السلام، فسلمان يستطيع أن يطوي الأراضين في لحظات من الزمن لأنه عرف سر الحقيقة معرفة تامة حتى قال الأئمة عليهم السلام في حقه سلمان منّا أهل البيت، وقد قيل لو علم أبا ذر ما في قلب سلمان لكفره، وفي رواية تقول لقتله.

كذلك الفضيل بن اليسار أحد تلامذة الإمام جعفر الصادق عليه السلام نال سراً من الأسرار حتى قال الإمام الصادق عليه السلام في حقه: فضيل منّا أهل البيت.

كميل لم يصل إلى **مقام معرفة أثر من آثار الإسم الأعظم** الذي وصل إليه حبيب بن مظاهر الأسدي وحجر بن عدي الكندي وحذيفة بن اليمام وميثم التمار وغيرهم من صحابة أمير المؤمنين حيث نالوا مرتب علم المنايا والبلايا.

كميل وصل إلى **مقام من اصطبغ بصبغة المعرفة** وفي طريقه

للعـروج لمعرفة تلـك الأسرار مثل جابـر الجعفي والمعـلا بن خنيس وزرارة وغيرهم من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

إذن كميـل بن زياد عندما طلب من أمير المؤمنين عليه السلام الاستزادة لبيان الحقيقة هذا يدل على أن كميل ما زال في المقام الثالث[1].

ولمعرفـة الحقيقـة لا بُـد أن نعـرف أن القرآن الكـريم تعرض إلى بيانها على لسان النبي عيسى ابن مريم على نبينا وآله وعليه السلام عندما قال: «**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**» وهي النفس التي تذكـر في دعاء زمن الغيبة «**اللهم عرفنـي نفسك فإنك إن لم تعرفنـي نفسـك لم أعرف رسولك، اللهم عرفنـي رسولك فإنّك إن لم تعرفنـي رسولك لم أعرف حجتـك، اللهم عرفني حجتك فإنّك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني**».

وهي النفس التي تذكرها عندما تقف بين يدي المولى أمير المؤمنين عليه السلام وتقول: «**السلام عليك يا نفس الله القائمة بالسُنن**».

كميل بن زياد لا يقصد بها الذات الإلهية (الطريق مسدود والطلب مـردود) ولا حقيقـة ذوات المعصومـين لكنـه يقصـد حقيقته، هذه الحقيقة التي يعبّر عنها روايات أهل العصمة بالنفس التي تسمى في بعض روايات أهل البيت عليهم السلام حقيقة العبد من ربه التي قال فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**».

(١) فيما جاء في تعداد درجات أهل الإيمان وسهامهم أنّ المقداد رضوان الله عليه في الدرجة الثامنة وأبا ذر رضوان الله عليه في الدرجة التاسعة ولسمان الفارسي رضوان الله عليه في الدرجة العاشرة ففي الكافي عن عبدالعزيز القراطيس قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا عبدالعزيز! إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحدة: لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشرة، فلا تُسقط من هو دونك فيُسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك درجة، فارفعه إليك برفق، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنّ من كسر مؤمناً فعليه جبره. الكافي/ ص٤٥ ح٢.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»، من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعرفوه، قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي ليعرفوه لأن العبادة فرع من المعرفة، والمعرفة لا تكون إلاّ بالمحبة وهو قوله تعالى في الحديث القدسي «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف، فخلقت الخلق لكي أُعرف**»[1] ولما كان إدراك الذات الإلهي مستحيل على الخلق والله تعالى لا يكلف الخلق فوق طاقتهم قوله تعالى ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ خلق الله خلقاً يمثل الظهور الكامل للغني المطلق والجمال والجلال وجميع الصفات الإلهية التي أراد الله سبحانه من الخلق أن يعرفوه بها كل على قدره، وهذه الصفات الظاهر بها في السرمد هي صفات محدثة (مخلوقة) وهذا المخلوق هو الظهور المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام «**كل حركة أنت محتاج فيها إلى معرفة**» وهذه المعرفة لا تكون إلاّ بتعليم ممن نصبه الله لهداية الخلق وإرادة شئونهم لأن هذا المخلوق اعلم بالخلق ومحيط بأحوالهم أكثر من علمهم بأنفسهم، هذا المخلوق هو الوجود المقدس لمحمد وآل محمد.

---

(١) «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف».
- الكنز المخفي: مقام اللا تعين ووصف الله نفسه بهم والذات البحت البات وعين الكافور.
- فأحببت أن أعرف: ظهور الكامل المطلق، الاسم الذي أقامه في ظله ولم يخرج منه إلى غيره، ومقام أو أدنى -صبح الأزل- عالم الأمر - وهو المكنون المخزون عنده.
- فخلقت الخلق لكي أعرف: أجرى الله الصنع على محبته، ومحبته هي ولاية الولي وهي صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا دعيتم إلى البراءة مني فمدوا الأعناق فإني على الفطرة.

الكلام حول النفس وماهيتها

يقول الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي (قدس) في جوامع الكلم قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخُلقَ الإنساني ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد[1].

العناصر الأربعة الماء والهواء والنار والتراب والمواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان وأكملها الإنسان الذي هو أكمل الموجودات السفلية وهو بنفسه يشبه الملائكة ويمكن أن يبقى بقاء السرمد إذا تشبه بالملائكة في العلم والعمل.

وقال الشيخ اليوناني: النفس جوهر كريم شريف يشبه دائرة قد دارت على مركزها غير أنها دائرة لا بعد لها ومركزها هو العقل.

وقال أبو علي عبدالله ابن سيناء: إن النفس الإنسانية هو جوهر ليس بجسم ولا قائم بجمس وإنها حادثة مع حدوث البدن وباقية بعد فناء البدن.

إن النفس جوهر سماوي وعالمها روحاني وهي حية بذاتها غير محتاجة إلى الأكل والشرب واللباس وما شاكل هذه الأمور وأنها ما دامت مع هذا الجسد إلى الوقت المعلوم متعوبة بكثرة همومها لإصلاح أمر هذا الجسد وليس لها راحة إلاّ إذا فارقت هذا الجسد.

(١) المراد من السبع الشداد هي: زحل والمشتري والمراد بأنها تصعد إلى السماء.

وقـد اختلف العلماء والفلاسفة وعلماء النفس في ماهية الروح ما هي قيل إنه جسمٌ رقيقٌ هوائي متردد في مخارق الحيوان وهو مذهب أكثر المتكلمين.

وقـال بعض العلماء: إن الله خلق الـروح من ستة أشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلو.

وقال الرازي: النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني إذا تعلق بالبدن حصل ضوءه فـي جميع الأعضاء وهو الحياة وإن الروح قـد تطلق على النفس الناطقة التـي تزعم الحكماء إنها جوهره وهي محل العلوم والكمالات ومدبرة للبدن وقد تطلق على الروح الحيواني وهو البخار اللطيف المنبعث من القلب الساري في جميع الجسد.

واختـار المحققون من الفلاسف وأهل الإسـلام إنها جوهر مجرد فـي ذاته متعلق بالبـدن التدبير والتصرف وهذه الـروح لا تفنى ولا تمـوت بـل تبقى بعد المـوت إما نعيم وسعـادة أو في جحيـم وشقاوة فإنها محل المعرفة والـتراب لا يأكل محل المعرفة والإيمان أصلاً وأن الله تعـالى شأنه خلق جوهر النفس الناطقـة بحيث يمكنها الصعود إلى عـالم الأفلاك ومطالعـة اللوح المحفوظ والمانع لهـا من ذلك هو اشتغالهـا بتدبير البدن ومـا يرد عليها من طريق الحـوار وفي وقت النوم تقـل تلك الشواغل فتقوى النفس على تلك المطالعة ولا شك ولا ريب أن قبول الطاعات والأعمال الصالحة والخيرات منوطة بالتقوى كما هو صريح القـرآن الكريم حيث يقول عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

التقوى هي ملكة في جوهر الإنسان وباطنه تنشأ في نفس الإنسان من خلال المواظبة والتمرين عليها وهي اجتناب المحرمات وأداء الواجبات والالتزام في المستحبات وقد وصف الإمام أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وصف المتقين بقوله عليه السلام: فالمتقون هم أهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع إنما بمكارم الأخلاق يكتمل إيمان الإنسان وإذا اكتمل إيمانه صح عمله وفاز المرء بسعادته وإن بتهذيب النفس وبمكارم الأخلاق تعمر الديار وتزيد الأعمار.

النفس وأنواعها

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**». وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**».

فقد كثرت تفاسير هذا الحديث الشريف وتعددت شروح هذا الكلام اللطيف لكثرة المتصدين لشرحه وتبيان معانيه إلاّ أنّ آراءهم مضطربة في ذلك وشروحهم متفاوتة جداً لاختلاف أفهامهم وأنظارهم واستعدادات قابلياتهم وتفاوت مراتبهم ودرجاتهم وسبب ذلك أمران:

أحدهما تعدد اطلاقات النفس، وثانيهما تفاوت درجات الناس، مرة تطلق النفس على الشخص بكماله وتمامه من جميع أجزائه وجزئياته كما تقول أنا بنفسي ذهبت ومرة يراد بها الفؤاد الذي هو أعلى مشاعر الإنسان ومرة يراد بها العقل ومرة يراد بها النفس الناطقة القدسية.

من جانب آخر يقسّم باب مدينة العلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام النفس على أربعة أقسام حين سأله كميل بن زياد النخعي عن معرفة نفسه قال له المولى أمير المؤمنين عليه السلام: وأي الأنفس تريد أن أعرّفك؟

قال كميل: يا مولاي، هل هي إلاّ نفس واحدة؟

قال عليه السلام: يا كميل إنما هي أربعة ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان:

١- النفس النامية النباتية:

وهـي التي تسبب نمو الجسم وتكاملـه وزيادته ونقصانه، وهو قوة أصلها الطبائـع الأربع بدو إيجادها عند مسقـط النطفة مادتها من لطائـف الأغذية وسبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة.

ولها خمس قوى: ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية.

ولها خاصيتان: الزيادة والنقصان، وانبعاثها من الكبد.

٢- النفس الحسية الحيوانية:

قـوة فلكيـة وحرارة غريزيـة أصلهـا الأفلاك، بـدو إيجادها عند الـولادة الجسمانية فعلها الحيـاة والحركة والظلـم والقشم والغلبة واكتساب الأمـوال والشهوات الدنيوية، مقرهـا القلب، سبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجـاورة، فتنعدم صورتهـا ويبطل فعلهـا ووجودها ويضمحل تركيبها، وهي التي تتشابه بها الإنسان مع الحيوان.

ولها خمس قوى: سمع وبصر وشم وذوق ولمس.

ولها خاصيتان: الرضا والغضب وانبعاثها من القلب.

٣- النفس الناطقة القدسية:

هـي قوة لاهوتية بدو ايجادها عند الولادة الدنيوية، مقرها العلوم الحقيقة الدينية، هي التي تميز بها الإنسان عن الحيوان وتتجلى في القوة العاقلة التي مادتها العلم والحكمة.

ولهـا خمس قوى: فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة، وليس لها انبعاث، وهي أشبه بالنفوس الملكية.

ولها خاصيتان: النزاهة والحكمة.

٤- النفس الكلية الإلهية:

قوّة لاهوتية، وجوهرة بسيطة حية بالذات أصلها العقل.

وهي التي مبدؤها من الله ومنتهاها إلى الله، وهي التي عناها الله تعالى بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.

ولهـا خمس قوى: بقـاء في فناء، نعيم في شقاء، عز في ذل، فقر في غناء، صبر في بلاء.

ولهـا خاصيتان: الرضا والتسليم، وهي التي مبدأها من الله وإليه تعـود لقوله تعـالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

ما هي مراتب النفس في الذكر الحكيم؟

١- النفس الأمارة:

عادتها الخروج من الطاعة والدخول في المعصية أي تميل إلى اللذات الدنيوية على أنواعها حتى تخرج من الحدود الشرعية وتدخل في مراتع القوة السبعية والبهيمية.

صفتها الظلمة وتستمد من أسفل سافلين وهي ما تسمى بالماهية أو جهتك من نفسك أو الإنية. ولا يمكن للإنسان أن يتجرد منها لا عن طرق معينة لا محل لذكرها وإلا بطبيعة الحال هي موجودة حتى عند الأنبياء عليهم السلام يقول الباري عز وجل في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

النبي يوسف عليه السلام كانت نفسه كباقي أنفس البشر مياله إلى السوء لكنه كفها عن ارتكاب السوء، وهناك من يعلل لنفسه تعليل عليل بقوله: إن الإنسان لا يستطيع أن يتحكم بغرائزه، وأنها تسيطر على الإنسان! يريد من خلال هذا الكلام أن يبرر لنفسه المعاصي، وأيضاً البعض منهم يتظلل بالمقولة التي تقول: إن هاروت وماروت كانا من الملائكة المقربين وقالوا لله تعالى كيف تعصيك العباد يا رب وأنت العظيم؟ قال لهما: لأن أعطيتكم ما أعطيتهم لعصيتموني، وحاصله وقعوا في الزنا والقتل وشرب الخمر: وهم اليوم معلقون بين السماء والأرض في بابل، فقد يقال إذا كان هذا هو حال الملائكة فما هو حالنا نحن الضعفاء؟!

فقد جاء عن محمد بن قيس قال:

سمعت أبا جعفر عليه السلام وسأله عطا ونحن بمكة عن هاروت وماروت؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: إن الملائكة كانوا ينزلون من السماء إلى الأرض في كل يوم وليلة يحفظون أعمال أهل أوساط الأرض من ولد آدم والجن، فيكتبون أعمالهم ويعرجون بها إلى السماء، قال فضج أهل السماءمن معاصي أهل أوساط الأرض فتؤمروا بينهم مما يسمعون ويرون من افترائهم الكذب على الله وجرأتهم عليه ونزهوا الله فيما يقول فيه خلقه ويصفون قال: فقالت طائفة من الملائكة: يا ربّنا ما تغضب بما يعمل خلقك في أرضك مما يفترون عليك الكذب ويقولون الزور ويرتكبون المعاصي وقد نهيتهم عنها؟ ثم أنت تحلم عنهم وهم في قبضتك وقدرتك وخلال عافيتك؟

قال أبو جعفر عليه السلام: وأحب الله أن يرى الملائكة قدرته ونافذ أمره في جميع خلقه ويعرف الملائكة ما منه عليهم مما عدله عنهم من جميع خلقهم وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذنوب، قال: فأوحى الله إلى الملائكة إن اندبوا منكم ملكين حتى أهبطهما إلى الأرض ثم أجعل فيهم من طبائع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والأمل مثل ما حصلت في ولد آدم، ثم أختبرهما في الطاعة لي، قال: فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانوا من أشد الملائكة قولاً في العيب لولد آدم، قال: ثم أوحى الله إليهما انظرا: ألا تشركا بي شيئاً ولا تقتلا من النفس التي حرمت، ولا تزنيان ولا تشربان الخمر، قال: ثم كشط عن السماوات السبع ليريهما قدرته ثم أهبطهما إلى الأرض في صورة البشر ولباسهم، فهبطا برحته بابل مهروز، فرفع لهما

بنـاء مشرف فأقبلا نحوه فـإذا بحضرته امرأة جميلة حسناء مزينة معطـرة مسفرة مقبلة نحوهما، فلما نظـرا إليها وناطقاها وتأملاها وقعـت فـي قلوبهم موقعاً شديداً لموضع الشهوة التي جعلت فيهما، ثم أنهما ائتمرا بينهما وذكرا ما نهيا عنه من الزنا، فمضيا ثم حركتهما الشهوة التـي جعلت فيهما فرجعا إليها رجوع فتنة وخذلان فراوداها عن نفسها فقالت لهما:

إن لي دينـاً أديـن به ولسـت أقدر فـي ديني الـذي أدين له على أن أجيبكمـا إلى مـا تريدان إلا أن تدخلان فـي ديني الذي أدين به فقال لهـا: وما دينك؟ قالت: لي إله من عبده وسجد له كان لي السبيل إلى أن أجيبه إلى كل ما سألني.

فقالا لها: وما إلهك؟

قالت: إلهي هذا الصنم.

قـال: فنظر أحدهما إلى صاحبه فقالا هاتان الخصلتان مما نهيا عنهمـا الشرك والزنا، لأنا إن سجدنا لهـذا الصنم وعبدناه أشركنا بـالله، وإنما نشرك بالله لنصل إلى الزنا، وهـو ذا نحن نطلب الزنا فليس تعطاه إلا الشرك.

قـال: فأتمرا فيها فغلبتهما الشهوة التـي جعلت فيهما، فقالا لها: نجيبك إلى ما سألت.

قالـت: فدونكما فاشربا هـذا الخمر فإنه قربان لكمـا عنده، وبه تصلان إلى ما تريدان.

قال: فأتمرا بينهما.

فقـالا: هذه ثلاث خصال مما قد نهانا ربنـا عنه،: الشرك والزنا وشـرب الخمر، وإنما ندخـل في شرب الخمر حتـى نصل إلى الزنا فأتمـرا بينهمـا ثم قـالا لها: ما أعظـم البلية بك قد أجبنـاك إلا ما سألت.

قالت: فدونكما فاشربا من هذا الخمر واعبدا الصنم واسجدا.

قـال: فشربا الخمر وسجدا له ثم راوداهـا عن نفسها فلما تهيأت لهما وتهيئا لها دخل عليهما سائل فلما إن رأياه ذعرا منه، فقال لهما: إنكمـا لمريبين ذعرين قد خلوتما بهذه المـرأة العطرة الحسناء إنكما لرجلا سوء وخرج عنهما.

فقالت لهما: لا وإلهي ما أصل إلى أن تقرباني وقد طلع هذا الرجل علـى حالكما وعرف مكانكما خرج الآن فيخبر بخبركما، ولكن بادرا إلي هـذا الرجـل فاقتلاه قبـل أن يفضحكما ويفضحنـي، ثم دونكما فاقضيا حاجتكما وأنتما مطمئنان آمنان.

قـال: فقاما إلى الرجل فأدركاه فقتلاه ثـم رجعا إليها فلم يرياها وبدت لهما سوآتهما، ونزع عنهما رياشهما، وأسقطا في أيديهما.

قال: فأوحى الله إليهما إنما أهبطتكما إلى الأرض مع خلقي ساعة من نهار فعصيتماني بأربـع معاصي كلها قد نهيتكما عنها، وتقدمت إليكمـا فيهـا فلم تراقبـاني ولم تستحيا منـي، وقد كنتمـا أشد من ينقـم على أهـل الأرض من المعاصـي وسجر أسفـي وغضبي عليهم ولمـا جعلت فيكم من طبع خلقـي وعصمتي إياكم من المعاصي فكيف رأيتما موضع خذلاني فيكما، اختارا عذاب الدنيا أم عذاب الآخرة؟

فاختـارا عـذاب الدنيا على عـذاب الآخرة لأن عـذاب الدنيا له مدة وانقطاع وعذاب الآخرة دائم لا انقطاع له.

قـال: فكانا يعلمـان السحر بأرض بابل ثم لما علمـا الناس السحر رفعـا من الأرض إلى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء إلى يوم القيامة.

والإمام زين العابديـن عليّ بن الحسين عليه السلام في مناجاته يقول: «**إلهـي إليـك أشكـو نفساً بالسـوء أمـارة، وإلى الخطيئـة مبـادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلنـي عنـدك أهون هالك، كثيرة العلـل طويلة الأمل، إن مسها الشرُّ تجزع وإن مسّها الخير تمنع، ميّالةً إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو تُسرع بي إلى الحوبة وتسوِّفُني بالتوبة**».

٢- النفس الملهمة:

بقيت على حالتها الأولى مع تعلمها بعض الخير.

٣- النفس اللوامة:

بقيـت على حالتهـا ولكن ميلان لهـا ميل للخير وميـل للشر، ومع هذا فهي تلوم نفسها عندما تفعل الخير بطبعها، وكذلك تلوم نفسها عندمـا تفعل الشر بتطبعهـا «**إن المؤمن لا تراه إلاّ لائماً نفسه، وإن الفاجر يمضي قُدماً لا يعاتب نفسه**»، وعليه فإن النفس اللوامة هي التـي ترتقي بالإنسان بعـد التعلم والتربية والمجاهـدة، ولعظمة هذه النفـس أقسـم الله عز وجل في سورة القيامـة ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾.

٤- النفس المطمئنة:

سُميت بذلك لاطمئنانها على متابعة العقل والأفعال الصالحة وتسمى أخت العقل حين علمها مما علمه الله، فتعلمت وتخلقت بالخيرات وهو تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ فحينئذ يرضى بفعلها العقل ويأكل من صيدها كما في تأويل قوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾، فإن الله سبحانه علّم العقل بأن العبد لا يملك شيئاً، كل ما كسب وحصّل فهو لسيّده: لا يأكل منه إلا ما أطعمه منه، ولا يمضي حتى يأذن له، ويترك إذا أمره بالترك، فهذا حال العقل في معاملته مع ربه.

وهو حال العبد المطيع مع سيده، وهذا هو مقام الأنبياء والأولياء واتباعهم الصادقين، القرآن الكريم يشير إلى هذا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾.

اللهم أعنّا لنستضيء بنور آياتك ونصعد أنفسنا الأمارة إلى اللوامة ومنها إلى النفس المطمئنة، ولنجد روحاً مطمئناً لا يضطرب ولا يتزلزل أمام طوفان الحوادث، ولا تبهرنا زخارف الدنيا وزبارجها، وأن نصبر على البأساء والضراء.

٥- النفس الراضية:

بعد الاستقامة والاطمئنان يفتح الله على هذه النفس باب الرضا فترضى لما يجري عليها من فضل أو عدل وهذا صدق العبودية.

٦- النفس المرضية:

تصل النفس إلى الرضا بكل أحكام القدر فرضي الله عنها.

٧- النفس الكاملة:

وهي التي اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد وهي النفس الناطقة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها، فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الاضداد فقد شارك بها السبع الشداد (العلم يهتف بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل)، (إنه مستقر ومستودع فاحذر أن تكون من المستودعين، وإنما يستحق أن يكون مستقراً إذا لزمت الجادة الواضحة التي لا تخرجك إلى عوج).

في بيان حقيقة العالم والنفس الناطقة

لمّا أحب الواجب أحداث الإمكان ليظهر قدرته التي هي متعلقة بالأعيان أخترع بديع خلق العالم وصوّره على هيئة مؤلفة تدّل على معنى التوحيد عند عدم ملاحظة نفسه كقول لا إله إلا اللّه فإنّه مركب من حروف حادثة تدّل هذه الهيئة على معنى التوحيد عند عدم ملاحظة هذا التأليف من حيث التأليف وكذلك هذا العالم فإنّه مجلىً تجلّياته ومرآت ظهوراته. وذلك لأنه سبحانه خلق الخلق والعالم لأجل المعرفة كما قال في الحديث القدسي «**أحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**» ولمّا لم يكن للممكن طريق الوصول إلى رتبة الوجوب لعدم الإحاطة به[1] وجب أن يُعرّف نفسه لهم حيث كانت الغاية هي المعرفة ولمّا كان التعريف والتوصيف منحصراً بأحد شيئين إما بالمقالي[2] وإما بالحالي[3] وجب عليه سبحانه في الحكمة أن يصف لنا نفسه ويعرفنا إياها بالبيانين لإكمال نعمة للمؤمنين وإتمام حجة على الكافرين لأنه قادر على ذلك أما المقالي فبقوله «لا إله إلا اللّه» كلمة التوحيد وأما الحالي فبالسرّ المودعة في حقيقة العالم. ذلك السرّ هو معنى التوحيد المستفاد من تأليف هذا العالم ولذلك قيل أنّ العالم صورة التوحيد، ومعناه أن العالم يدّل على ما يدل قولك لا إله إلا اللّه.

فلا فرق بين قولك لا إله إلا اللّه في إفادة التوحيد وبين هذا

(١) ﴿لا يحيطون به علماً﴾ سورة طه/ آية ١١٠.

(٢) تعريف مقالي: هو معرفة الشيء لا بنفسه بل بأمور موصلة إلى معرفته.

(٣) تعريف حالي: هو معرفة الشيء بنفس ذلك الشيء لا بشيء آخر.

العـالم، وذلك لأن الأثر إنما يستدل به علـى مؤثره. وهذا ما ورد في الأخبـار «**إن الله خلـق آدم علـى صورتـه**» وآدم على طبـق العالم بلا زيادة ونقيصـة، وصورته هيئته، ولأجل ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام لمّـا سُئل عن الحقيقة «**نور أشرق مـن صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيـد آثـاره**» وذلك النور الملقى في هويّة العالم المشرق من صبح الأزل هو التوحيد ومعناه وهو المثال الذي ظهر به الحق للخلق.

قـال أمـير المؤمنين عليه السلام لمّا سُئل عـن العالم العلويّ «**صـور عالية عـن الموادّ خالية عن القوة والاستعداد تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتـلألأت فألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله**» وذلك المثال هـو قوله في الحديث القدسي: «**يا بـن آدم اعرف نفسك تعرف ربّك ظاهرك للفناء وباطنك أنا**».

فقولـه أنا هو ذلك المثال وليس هو ذات الواجـب، وأما لأن المتكلم إنمـا يكـون متكلماً في رتبة الـكلام والذات التي ظهـرت في المتكلم إنما هـي في رتبة الكلام وهذا العالم كلامه سبحانه لأنه خُلق بقوله (كـن) والمتكلّمية صفة مودعـة في حقيقة هذا الـكلام، فالعالم هو ظهـور الحـق والحق ظهـر للعالم وليـس الظاهر والمعـروف هو ذات الواجـب سبحانه لعدم تمكن الإحاطة بها بوجه من الوجوه فالمعروف هـو صفاته الفعليّة لا غير ذلك، وهذا المثـال الملقى في هوية الأشياء إنما تدّل عليه صفة استدلال وليست تكشف عنه.

قـال أمير المؤمنـين عليه السلام: «**إن قلت هـو هـو فالهاء والـواو كلامه وخلقه، وإن قلت الهواء صفته فالهواء من صنعه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك**».

من عرف نفسه فقد عرف ربّه

روي هـذا المعنى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**»، وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنـه قال: «**من عرف نفسه عرف ربه**».

يجـب الإعتقـاد بـأن الخلائـق أجمعـين مكلفـون لمعرفـة الله تبـارك وتعـالى، ولم يخلقـوا إلاّ ليعرفـوه كمـا قال عـز وجل ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] والعبادة لا تكون إلا بعد المعرفة لأنهـا فرعها[2]، وجـاء في الحديـث القدسي: «**كنـت كنـزاً مخفياً، فأحببـت أن أعـرف، فخلقـت الخلـق لكـي أعـرف**»، ولكنـه تعالى لا يُعـرف مـن جهة ذاتـه لأن الطريق إليـه مسدود والطلـب مردود ولا يمكـن إدراكـه لأن الإدراك لا يمكـن إلا أن يحيـط المـدرك بالمدرَك والقديم تعالى لا يُحاط به ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[3] ولَما كان ذلك كذلـك، وجب عليه فـي الحكمة أن يصـف لنا نفسـه ويعرفنا إياها حيث كانـت الغاية هي المعرفـة والعبادة لنعرفه بمـا وصفه به نفسه ونوحـده ونعبده، كذلك لتكتمل ثمـرة إيجادنا وتتم علة إنوجادنا، ولمّا كان التعريـف والتوصيف منحصراً بأحـد الشيئين إما بالمقالي «وهو مدلـولات الكتاب التدويني وسنة النبي صلوات الله عليـه وآله» وإما بالحالي «وهـو ما جعل الله سبحانه في الآفـاق وفي أنفس الخلائق

(١) سورة الذاريات/ آية ٥٦.

(٢) قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف.

(٣) سورة طه/ آية ١١٠.

مـن صفـات توحيده» وجب عليـه سبحانه في الحكمـة أن يصف لنا نفسـه ويعرفنا إياها بالبيانين، ولما كان الحالي أجلى من المقالي لأنه بيان بالكينونية وتعريـف بالعينية وجب عليه سبحانه في الحكمة أن يخلـق في حقائقنا صفة تنبأ عن كينونية وآية يدل على وحدانيته لأن الوصـف كلّما قُـرب إلى من وُصفَ له يكون أكمـل وأبلغ للحجة وليس أقـرب شيء إلى شيء من نفسه فجعـل سبحانه ذواتنا وأنفسنا آيات لتوحيده وصفات لمعرفته ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1].

إذن ملخص الـكلام أنّ الله سبحانه تعرّف لنـا بنا ووصف نفسه لنـا بنـا لأننـا لا نتعدى إلى الـذات البحـت البات «الطريـق مسدود والطلـب مـردود» فهو سبحانه عـرّف نفسه لنفسنا بنفسنـا علماً أن مراتب التوحيد والمعرفة والعبادة متعددة لاختلاف مراتب الموحدين والعارفـين فإنه سبحانه يظهر لكل شيء به، ويتعرف له بقدر قابليته واستعـداده ويصف نفسه له بحسب إدراكه فالطريق إليه بعدد خلقه مـن جماد ونبات وإنسان وغيرها من الأنفس، إن الطريق إليه بعدد خلقـه فلا يعرفه أحـد إلاّ بما نقش في لوح حقيقتـه من صفةِ توحيد وبما أودع في سريته من آلة تجريده.

ويمكن تفسير معرفة النفس كما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب عليه السلام: «**من عـرف نفسه فقد عرف ربـه**» هو أن حقيقة العالم هـو نور خلقـه الله بمشيئته ونسبه لنفسـه وأودع فيه أجمل الصفات

(١) سورة فصلت/ آية ٥٣.

الجماليــة والجلاليــة وجعله مثــالاً له فــي الأفعال، فنظــر إليه نظر الرحمــة فتلألأ وتشعشع فخلق من أشعته الخلائق بأنواعها ومراتبها فامتاز كل من الموجودات بصورته التي اختاره بحسب قابليته فحقيقة كل مؤمن من شعاع ذلك النور فإذا عرف نفسه أي حقيقته عرف ربه لأن نفسه مثال لمثال ربه وقد خص بالصفات الكمالية.

١- الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم .

٢- الأنبياءعليهم السلام.

٣- مؤمن الأنس.

٤- الملائكة.

٥- مؤمن الجن.

٦- مؤمنوا الحيوان.

٧- مؤمنوا النبات.

٨- مؤمنوا الجماد[1].

فـكل مــن هو أشــد في تصفية نفسه فــي إعراضه عــن العلاقات الدنيويــة والعواطف السلبية فهو أحــق بالتجليات الربوبية وأقوى في

(١) السلسلة الطولية: عبارة عن ترتب إيجاد وخلق الموجودات أولاً فأول، فالذي أجاب دعوة الرب بقوله «ألست بربكم» أولاً تحقق وخلق أولاً وهو المعني بالسابقين في الآية ﴿**والسابقون السابقون، أولئك المقربون**﴾ وكان أول الموجودات هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بُعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب حيث أخذ ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، فكنت أول نبي قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل.

معرفتهـا، مثالهـا المرآة أمـام الشمس فإن صـورة الشمس فيها هي مثـال تجليات الشمس فإذا كانت صافيـة ليس عليها غبار فمن رآها فكأنمـا يرى الشمس وعرفها وليست الشمس في المرآة وليست المرآة عرفـت ذات الشمس بل عرفـت آثارها من الحرارة والأشعة وله المثل الأعلـى في السمـوات والأرض وأصفـى مرآة في عـالم الوجود هي نفس سيـد الكائنات وأشـرف الموجودات لتلك التجليـات لهذا يقول الرسـول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : «**من رآني فقد رأى الحق**» ومن بعده في الصفات أخـوه وقرينه أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالـب عَلَيْهِ السَّلَام ولكمال معرفته قال: «لـو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» ويبرهن لهذا المعنى قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : «**يا علي ما عرف الله إلا أنـا وأنـت**» لأن مـرآة نفسيهما أصفى المرايا أمـام تجليات شمس الحقيقـة، فليس في المـرآة نفسيهما شائبة الكـدر ولا ذرة فسبحان ربك رب العزة عما يصفون.

سـأل المفضل مولانا جعفر بـن محمد الصادق عَلَيْهِ السَّلَام: ما كنتم قبل أن يخلق الله السموات والأرضين؟

قـال عَلَيْهِ السَّلَام: كنا أنوار حول العرش، نسبـح الله ونقدسه، حتى خلق الله سبحانه الملائكة فقال لهم: سبحوا.

فقالوا: يا ربنا لا علم لنا؟

فقال لنا: سبحوا فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا.

ألا إنـا خلقنا من نور الله، وخلـق شيعتنا من دون ذلك النور، فإذا كان يـوم القيامـة التحقت السفلى بالعليا ثم قـرن عَلَيْهِ السَّلَام بين أصبعيه السبابة والوسطى وقال: كهاتين.

ثم قال: يا مفضل أتدري لم سميت الشيعة شيعة؟

يـا مفضل شيعتنا منا ونحـن من شيعتنا أما ترى هذه الشمس أين تبدو؟

قلت: من مشرق.

وقال: إلى أين تعود؟

قال: إلى المغرب.

قـال عليه السلام: هكـذا شيعتنا منّا بدؤا وإلينا يعـودون كما في الزيارة الجامعة «**بكم فتح الله، وبكـم يختم وبكم يُنزل الغيث**» **ومنها أيضاً** «**وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم**» لأن المبدأ منهم والعود إليهم.

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة البيان: «**أنا أبدأ وأعيد**».

بيان حقيقة النفس

اعلـم أن النفس التي هي حقيقتك مـن ربك، هي التي إذا عرفتها عرفته تعالى وهي النور، فإن النور هو صفة المنير، فمن عرف الصفة عرف الموصوف،لأن الموصوف إنما يُعرف بصفته.

ومعنى أن حقيقتك من ربك إذا عرفتها فقد عرفت ربك، أنه تعالى، لما كان لا يعرفه أحد غيره إلاّ بما وصف به نفسه[1] وأراد بكرمه عليك ورحمتـه لك أن تعرفه، وصف نفسه، وألبسه صورة قبوله، وأنزله في رتبته من أكوان الإمكان، فظهر: إياك...

فأنـت ذلك الوصف، فإذا كانت نفسك هي وصفُ الله الذي وصف به نفسه لك ومن عرف الصفة، عرف الموصوف لأن الموصوف لا يُعرف إلاّ بوصفه، كنت إذا عرفت نفسك، عرفت ربك، ومثال حقيقتك التي وصفها الله نفسه لك، كصورة السراج في المرآة.

● **مثال توضيحي:**

فإن الصورة إذا عرفت نفسها التي من جهة، وهي: مادة الصورة، وهـي: هيئة شعلة السراج، عرفت شعلة السـراج، لأن مادة الصورة، هي صفة الشعلة المنفصلة.

(١) لأنَّ الأزل ليس شيئاً غيره تعالى وما سواه فهو في الإمكان، والأزل لا يخرجُ منه شيءٌ ولا يدخلُهُ شيء، ولا يصل إليه شيءٌ فيُخبر عمّا هناك، ويصف ما فيه، وإذا كان كذلك، لا يعرفُهُ أحد إلاّ بما وصف به نفسه، وهو كما يقول، لا يُدركهُ غيره، فلا يعرفُ كُنهَهُ إلاّ هو، لأنّ علمهُ بنفسه عين ذاته، فإذا وصف نفسهُ كان وصف الحقّ للحقّ حقّاً ويقعُ علينا وصفُهُ خلقاً، ونحن ذلك الوصف، الواقع علينا بنا، فقد تعرّف لنا بنا، فكان وصفهُ للخلق خلقاً، لأن الخلق لا يُدركُ إلاّ خلقاً، إنّما تحدُّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلاتُ إلى نظائرها، فلا يُدرِك شيء إلاّ مَا كان من جنسه.

أعني: الهيئة التي أشرقت على المرآة، لا الهيئة التي قامت بالشعلة قيام عروض، لأنها متصلة بها، لا تنفصل عنها، وإنما ينفصل شبحُها، وهو الواقع على المرآة، وهو حقيقة الصورة من الشعلة.

فالصورة في المرآة إذا عرفت نفسها التي هي هيئة الشعلة، عرفت الشعلة التي هي ربها، وصورة الصورة هي: حقيقة الصورة من نفسها التي هي هيئة المرآة من: كبر وبياض وصفاء واستقامة وأضدادها، فالنار الغائبة في السراج هي: آيةُ ذات الله عز وجل وحرارتها هي: آية المشيئة، والدهن المستحيل بحرارة النار دخاناً هي: آية الحقيقة المحمدية، والدخان المستنير بمسّ النار الذي حصل منه الشعلة -أي من مجموعها- هو: آية المقامات التي لا فرق بين الله سبحانه وبينها في المعرفة، إلاّ أنها: عبادُهُ وخَلقُه، وهي: العنوان.. وهي: المثال.. وهي بالنسبة إلى الواجب الحق تعالى كالقائم بالنسبة إلى زيد.

والصورة التي في المرآة، إنما تحكي صورة الشعلة القائمة بها، لأن الحاكية أصلها: الصورة القائمة بالشعلة، وهي: الوجه، وهي: مثال النار وعنوانها، والصورة في المرآة، إنما تعرف أصلها، ولا تعرف النار التي هي: آيةُ الله، وهو قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**انتهى المخلوق إلي مثله، وألجأه الطلب إلى شكله**».

وأما صورة الصورة التي هي من هيئة زجاجة المرآة، فلا تعرف الصورة بها هيئة الشعلة لأنها ليست صفةً لها، وكذلك نفسك التي هي حقيقتك من ربك، تعرف بها ربك لأنها وصفه -أي وصف الربّ- الذي هو: المثال، والعنوان والوجه... لأن حقيقتك هذه هي: الفؤاد وهو نور الله الذي ينظر به المؤمن المتوسّم، أي: صاحب الفراسة،

وهي المسماة بوجودك في اصطلاحهم.. وأمّا حقيقتك من نفسك التي هي مثالك، وهي الظلمة والماهية، فلا تعرف بها ربك لأنها هي: أنت... واللّه سبحانه لا يعرف بك، بخلاف حقيقتك من ربك التي هي وصفُهُ الذي وصف به نفسه لك، لتعرفه بهذا الوصف، فإنه وصف.. فهو، أَنَّي خاطبك عز وجل به مشافهة حين قال لك في عالم الذر: ألستُ بربك، ومحمد نبيك، وعليّ وليّك، والأئمة من ولده أئمتك؟ فقلت: بلى.

وقولك: بلى، هو: حقيقتك من نفسك، وخطابه تعالى، هو الوصف الفهواني -الشفاهي، على جهة العيان، والتصريح في البيان، فتمّت كلمتُه، وبلغت حُجّته ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

(١) سورة فصلت/ آية ٤٦.

بيان كيفية الوصول
إلى معرفة ذلك الأنموذج الفهواني

فقد جمعه حديث كميل حين سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحقيقة، وهي معرفة هذه الحقيقة التي نحن بصدد بيانها، فقال: مالك والحقيقة يا كميل؟

فقال كميل: أولست صاحب سرك؟

قال عليه السلام: ولكن يرشح عليك ما يطفح مني.

فقال كميل: أو مثلك يخيبُ سائلاً؟

فقال عليه السلام: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة.

قال كميل: زدني بياناً.

قال عليه السلام: محو الموهوم، وصحو المعلوم.

قال كميل: زدني بياناً.

قال عليه السلام: هتك الستر، وغلبة السر.

قال: زدني بياناً.

قال عليه السلام: جذب الأحدية بصفة التوحيد.

قال كميل: زدني بياناً.

قال عليه السلام: نور أشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره.

قال كميل: زدني بياناً.

قال عليه السلام: أطفئ السراج فقد طلع الصباح.

ويشرح الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي (قدس) ما غمض من معاني كلمات أمير المؤمنين عليه السلام فيقول:

فقوله عليه السلام: «كشف سبحات الجلال من غير إشارة» قد بيّن فيه جميع أنحاء التجريد، والمراد بالسبحات: أشعة الجلال وهي الشؤون والصفات، والجلال يُراد منه هنا ذات الشخص أي حقيقته من ربه.

وكيفية تجريد السبحات أن تُلقي عن ذاتك في الاعتبار والوجدان، جميع شؤون ذاتك فلا تنظر إلى حركتك أو سكونك أو نومك أو يقظتك أو ضحكك أو بكائك أو كونك: في أو على أو من أو فيك أو أبو فلان.. أو ابن فلان.. أو حادث أو قديم أو موجود أو مفقود أو اتصال أو انفصال أو اجتماع أو افتراق أو مطابق أو مباين أو واجد أو فاقد وكل معنى أو صفة أو حال سواء كان اعتباراً، أو فرضاً أو احتمالاً وتجويزاً، ذهناً أو خارجاً أو نفس الأمر.

فكل ما يصدق عليه أنه شيء بكل اعتبار تلقيه عن النظر إلى نفسك وتسقطه عن عين الاعتبار لأنه مغاير لنفسك فإذا ضممت شيئاً آخر إلى نفسك في معرفتها، لم تعرفها وإنما عرفت شيئاً بعضه نفسك كما إذا عرفت نفسك بالحدوث فإنك عرفت مركباً وبهذا لا يعرف الله لأنه تعالى ليس مركباً.. فلا يُعرف بمركب.

ولا بدّ من كشف سبحات الجلال كلها، حتى الإشارة، كما قال عليه السلام (من غير إشارة) بمعنى أنك تجرد نفسك من جميع السبحات، أي: الشؤون، والنسب والصفات والأفعال والأحوال والتصانيف والأوضاع

حتـى عن التجريـد.. إلى أن لا يبقى إلا محضُ الـذات، وهو أنموذج وصفي، وخطاب فهواني لأنه مثل الوجه -أي العنوان، والمقامات التي لا تعطيـل لها في كل مكان، وهو، مثل، ليس كمثله شيء، لأنه آية اللّه الذي ليس كمثله شيء.. ولو كان هذا الباقي بعد التجريد، له مثل، لم يعرف به الرب عزّ وجلّ، لأنه تعالى ليس كمثله شيء.

ولـو كان نفسُك، بعد التجريد التـام، حتى عن التجريد لها مِثل لما كانـت معرفتها معرفة الرب لأنه تعالى لا يعـرف بالمثل، وإنما يعرف بأنه: لا مثل له، فيجب أن تكون الآيةُ الدالةُ عليه، أنها، لا مثل له.

فـإن قلت نفسـي لها مثل، وهو نفسك، قلت لـك: نعم، ولكن نفسه في كونهـا مثلاً لنفسك، ليست نفسك، بل غيرهـا.. فإذا كانت غير نفسـك، وجب في تجريد نفسك، نفـيُ المغاير والمماثل، حتى لا يبقى إلا محض النفس..

وليس المماثلة جـزء ماهيتها، فإذا جردتها في الاعتبار والوجدان عـن كل ماثـل، وكل مخالف، بقي شيء، لا يشبهـه شيء لأن المشابهة جـزءاً لكُنههـا، فـإذا وصلـت في تجريدهـا، إلى أن لا يبقـى شيء، ليس يشبهه شيء لأن المشابهـة ليست جزءاً لكُنهها، فإذا وصلت في تجريدهـا إلى أن لا يبقى شيء ليس كمثله شـيء، فإذا عرفت شيئاً، ليس كثله شيء، وهو السميع البصير لأن نفسك حينئذ آية اللّه، التي ذكرها في كتابه، فقـال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾.

والآيـة التي أراكها في نفسك، نفسك، إذا كشف سبحات الجلال،

فإنهـا آيـة اللّه الدالة عليه، وصفته التي مَـن عرفها عرفه، وهي كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: صفة استدلال عليه، لا صفة تكشف له.

والجلال في الحديث بمعنى الحجاب[1]، لأن نفسك أعظم الحجب وأغلظهـا، وباقي الحجب، بالنسبة إليـك شؤونك التي هي السبحات فـي الحديث، لأن اللّه عـز وجل احتجب عنك بـك أي احتجب عنك بنفسـك مع شؤونهـا وسبحاتها فـإذا ألقيت السبحـات رقّت نفسُك ولطفـت فعرفته بها لأنه تجلّى لها بها، كما قـال سيد الموحدين أمير المؤمنـين عليه السلام: «**لا تحيـط به الأوهـام بل تجلّى لها بهـا وبها امتنع منها وإليها حاكمها**».

وقـد روي أن نبيـاً من أنبياء اللّه عليهم السلام ناجى ربه فقال: يا رب!! كيف الوصول إليك؟؟

فأوحـى اللّه تعالى إليـه: «أَلْقِ نفسك وتعـالى إليَّ» والمراد بالإلقاء هو: عدم التفاته إلى نفسه أصلاً بأن يطرحها من الوجدان والالتفات عليها.

(١) سُئل علي عليه السلام عن الحجب، قال عليه السلام: الحجب سبعة غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام وبين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام والحجاب الثاني سبعون حجاباً بين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام وطوله خمسمائة عام حجبة كل حجاب منها سبعون ألف ملك قوة كل ملك منهم قوة الثقلين منها الظلمة ومنها النور ومنها نار ومنها دخان ومنها سحاب ومنها برق ومنها مطر ومنها رعد ومنها ضوء ومنها رمل ومنها جبل ومنها عجاج ومنها ماء ومنها أنهار وهي حجب مختلفة غلظ كل حجاب مسيرة سبعين ألف عام ثم سرادقات الجلال وهي سبعون سرادقات في كل سرداق سبعون ألف ملك بين كل سرداق وسرداق مسيرة خمسمائة عام ثم سرداق العز ثم سرداق الكبرياء ثم سرداق العظمة ثم سرداق القدس ثم سرداق الجبروت ثم سرداق الفخر ثم سرداق النور الأبيض ثم سرداق الوحدانية وهو مسيرة سبعين ألف عام في سبعين ألف عام ثم الحجاب الأعلى، وانقضى كلامه عليه السلام وسكت، فقال عمر: لا بقيت ليوم لا أراك فيه أبا الحسن.

وقولـه عليه السلام في بيان الزيارة: «محو الموهوم وصحو المعلوم» معناه: أن كشـف سبحـات الجـلال هو محـو الموهـوم لأنّ الأنيـة التي تلك السبحات والشؤون أركانها التي تتقوم بها موهومة بمعنى أنها: ليست شيئـاً بنفسهـا وإنما هـي بأمر الله الفعلـي أعني المشيئـة وبأمر الله المفعـولي أعني الحقيقة المحمدية وهو تأويل قوله تعالى ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[1].

وقوله عليه السلام: «**هتك الستر وغلبة السر**» معناه: أن كشف سبحات الجـلال من غير إشارة هو هتك للستر الذي هو الحجاب الذي يستر العبد عن مشاهدة آيات الرب سبحانه لأن السبحات هو هتك الأستار والحجـب المانعة وعندها يغلـب ظهور السر الذي هـو معرفة نفسك بأنك أنموذج فهواني ووصف صمداني خاطبك الله بك.

وقوله عليه السلام: جذب الأحدية لصفة التوحيد معناه كالذي قبله، يعني أن كشـف سبحات الجلال هـو أن يجذب للجلال الـذي هو الأحدية هنا، سبحاته التي هي صفة التوحيد بأن تمحوها من مراتب وجدانها بعد الالتفات إليها.

وقوله «**نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره**» معناه: أن تلك الحقيقة التي من عرفها عرف ربه نور أشرق من صبح الأزل، وصبـح الأزل هو: مشيئـة الله وإرادته، والله سبحانه هو الأزل يعني أن تلك الحقيقة التي هي نفسك من ربك أعني وجودك وفؤادك نور صدر من فعل الله فخرج على هيئة الهادين الموحدين آثاره أي آثار ذلك النور المشرق وهو أنت.. فإنك آثار حقيقتك أي على صورتها.

(١) سورة الكهف: آية ١٨.

وقولـه عليه السلام: «**أطـفـء السراج فقـد طلع الصبح**» يعنـي إذا أردت أن تعـرف المعلوم فأنف عنك السبحات الموهومـة التي هي بها تحس ظاهـراً أنك موجـود كالسراج الذي تستضيء بـه الأجسام في الليل والطبيعـة فقد طلع صبـح الوجود فاطفء عنك ما هـو كالسراج إذا طلع الصبح.

واعلـم، أن هنـا وجهاً آخـر غير ما ذكـر وهو سهـل التناول على الأفهام وهو: إذا عرفت نفسك أنك أثر عرفت المؤثر لأن معرفة الأثر تستلـزم معرفة المؤثـر وإذا نظرت إلى نفسك وعرفـت أنك مصنوع عرفت أن لك صانعاً.

وإذا نظـرت إلى أنـك: أنـت، أنت، لم تعـرف بهذا أن لـك صانعاً لأن أنيتـك ظلمة، والظلمة لا يبصر بهـا الناظر ولأنها صفتُك وصفة الشيء لا يعرف غيره بخلاف حقيقتك منه تعالى -أي من فعله فإنها أثر والأثر يدلّ على المؤثر لأنه صفةُ استدلال على المؤثر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له**».

بيان ترقيات النفس

نعم معرفة النفس هو الطريق الأمثل إلى معرفة الرب ولا ينال شخص بهذه المعرفة إلاّ أن يسلك سبيل المؤمنين ويتبع شريعة سيد المرسلين ومذهب المعصومين ويرتاض في تصفية نفسه بالعمل بالمستحبات والتجنب عن المكروهات وتخلق بالأخلاق الكريمة ويخالف هواه ويتبع أمر مولاه حتى يصل إلى درجة القرب الإلهي وعند ذلك يظهر له سر المحبة التي هو سرّ الإيجاد وذلك بعد كشف الحجب المانعة عن مشاهدة المحبوب وتلك الحجب ثمانية: حجاب الأعراض والألوان، وحجاب الجسم، وحجاب المثال، وحجاب المادة وحجاب الطبيعة، وحجاب النفس، وحجاب الرقائق، وحجاب العقل. فإذا خرقت تلك الحجب فقد وقف السالك في مقام المحبة الحقيقة الحقيّة فيشاهد المحبوب بما ظهر له به مع قطع النظر عن كونه هو هو بلا إشارة فيظهر له معنى (اعرفوا الله بالله) فيعرفه به يعني بظهوره له به لأن معرفة الذات بذاتها غير ممكن للممكن فإن المعرفة فرع الإحاطة وهو محيط ولا يحاط وهذه المعرفة إنما تحصل لظهوره بنفس ظهوره الظاهر له به فيستدل بالمحبوب على المحبوب فيشاهد المحبوب بنفس المحبوب الظاهر له به.

فيشاهد المحبّ جمال محبوبه مع قطع النظر عن كونه محباً ولا محبوباً، ولأن المحبة لا تلاحظ هناك كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**المحبة حجاب بين المحب والمحبوب**» فإذا وقف السالك في هذا المقام فقد بلغ مقام المعرفة التي خُلق لأجلها فيعرف الله بالله. إن الله أجلّ أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون به قال سيد الساجدين

عليه السلام: «**بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت**».

وقال سيد الشهداء عليه السلام: «**إلهي تردّدي في الآثار يوجب بعد المزار فاجذبني بجذبة توصلني إليك كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً**».

قول الشاعر:

إذا رام عاشقها نظرة ... ولم يستطعها فمن لطفها

اعارته طرفا رآها به ... فكان البصير بها طرفها

وليس لهذا الظهور الذي هو حقيقة العبد غاية ولا نهاية لأنه مقام المحبة التي قال في الحديث القدسي «**ليس لمحبتي غاية ولا نهاية**».

فلم يزل يترقى من مقام إلى مقام في مقامات المحبة إلى ما لا نهاية له لأن المحبة لا نهاية لها كما أنه لا بداية لها فما ليس له أوّل ليس له آخر لأن الأولية والآخرية متضائفان فيستلزم وجود أحدهما وجود الآخر وإلاّ لزم وجود المتضائفين دون الآخر. ولأن الأولية والآخرية فن الحدود المميزة وليس هناك حدّ وإلا لكان محدوداً لم يعرف به الواجب سبحانه لأن الواجب ليس بمحدود والمحدود لا يدرك إلاّ ما هو ممدود لوجود المناسبة بين المدرِك والمدَرك.

والمدرك الغير المحـدود ليس هو ذات الواجب لأنها لا تكون متعلّقة الإدراك بـل هـو آيتـه وصفته التي لا فـرق بينه وبينها فـي التعريف والتعـرّف لا في الحقيقة والذات كالحديـدة المحماة بالنار ولله المثل الأعلـى فإنها ليست عـين النار بل النـار أظهرت منهـا آثارها حيث أخفـت نفسها بوجود النار فظهـرت منها آثار النـار ولذلك قال في الحديث القدسي: «يا بن آدم أطعني أجعلك مثلي أنا أقول للشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن فيكون» وذلك على جدّ ما ظهر له به بما جـرى فعله على يديه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألفى في هويتها مثاله فأظهر عنها فعاله**».

فانظـر إلى الصورة في المرآة بالنسبة إلى المقابل فإنّ الصورة لمّا كانت حاكية عن المقابل بقدر قابليتها اتحدّت مع المقابل في التعريف والتعرّف لأنك متى تراها تقول هذا زيد لأنه إنما ظهر لك بالمرآة وأما فـي الحقيقة والذات فهما متغايـران أحدهما صفة والآخر موصوف وكل صفة تشهد على أنّها غير الموصوف لكن يوجب المناسبة والاتحاد في التعريف والتعرّف بينهما.

فيلزم حدوث الواجـب سبحانه لأن شبيه الحادث حادث وليس له سبحانـه صورة حتى يقـال أنّ الآية مطابقة لصورتـه لأنه تعالى عن الصورة والتخطيط والتحديد. فذلك المقام ليس هو الرب أعني ذاته كمـا عرفـت ولا آية الـذات لأن الـذات لا آية لها لئـلا يشابه المخلوق وذلك علامة الحدوث هي آية صفات فعله الموجدة بفعله.

وقـد أشار أمـير المؤمنـين عليه السلام أن كل موالي ومحـب لأهل البيت عليهـم السلام فيه سر من أسرار أهل العصمة وهو المثال الملقى من

المعصوم وهو الهوية الملقاة في وجودات الخلق وهو نفس النور في قول أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان وأبا ذر عندما سألاه عن المعرفة النوانية، فهي المعرفة النورانية للعبد وليس للمعصوم، فمتى ألقى المعصوم مثاله وهويته في وجود العبد ظهرت أفعاله أي أفعال المعصوم في العبد صورة قوته وصورة قدرته وصورة عظمته.

فمتى العبد أزاح هذا الستر وهذا الحجاب (وهي جميع العلائق الدنيوية) ظهرت في وجوده السر المكنون.

إذن فمن أراد الرقي في سلم الكمال الإنساني محلقاً بحرية بعيداً عن سجن الطبيعة بكل طينها وأدرانها عليه أن يزيل هذه القيود والحجب ويظهر نفسه من كثافات المادة وصدأ الشهوات الحيوانية حتى يمكن للروح أن تتخفف من كل ما يشدّها إلى الأرض وحينئذٍ يمكنها التحليق في عالم مفعم بالصفاء والنقاء في عالم يزخر بالطمأنينة والسلام.

يُذكر أن الإسكندر المقدوني كان يتمتع بهيبة ونفوذ قويين، كان إذا مرّ بقرية أو مدينة سيطر الخوف على قلوب الناس جميعاً ولكنه مرّ يوماً فرأى شيخاً هرماً ينظر إليه بكل احتقار، تعجب الإسكندر فسأله سبب عدم احترامه له، هل تعرفني من أنا؟ قال الشيخ: نعم، أعرفك أنت عبد لعبيدي! ولا ينبغي لي أن أخضع لمن هذا شأنه.

فسأله الإسكندر: وكيف؟

قال الشيخ: لأن لي عبدين: أحدهما الغضب والآخر الشهوة.

وقد أطلقت سراحهما ولكنك الآن عبد مملوك خاضع لهذين العبدين فكيف أكرمك؟

معرفة النفس ومعرفة الله

سبق وقلنا إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**» وقالوا أن معنى ذلك أن كل من عرف نفسه بالحدوث والفناء والزوال فإنه عرف ربه بالقدم والبقاء والدوام.

وكل إنسان عرف نفسه بالضعف والجهل فإنه عرف ربه بالقوة والعلم واللامتناهيان وكل إنسان عرف نفسه بأنه مخلوق ينمو ويموت في يوم ما، فإنه عرف ربه بأنه الخالق والمربي ومعيّن الأجيال، وهكذا بعد الدقة والتأمل يتضح أن هذا الأمر من الأمور المسلم بها، خصوصاً أن العاقل يفهم أن وجوده الجسماني ونفسه ونموه وتدبيره لم يتعلمها من ذاته فإنه يتيقن أن خالقه ومربيه جسمانياً ونفسانياً وكذلك رب ومدّبر كل أجزاء العالم هو فقط الخالق.

والذي يريد أن تترسخ معرفته بالخالق يجب عليه أن يفكر جيداً بمناجات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وليتأمل في معانيها[1].

وبشكل عام فإن الهوس واتباع الآمال الشيطانية والإفراط في اللذات الحيوانية مثل الإسراف في الأكل وكثرة النوم والثرثرة كلها تمثل حُجباً تغطي نور الفطرة الإنسانية وتمنع من ذكر الله وسبباً في مرض القلب والنفس، وإن الإفراط في بعض هذه الأمور إذا لم

(١) فقرات من هذه المناجاة: مولاي مولاي أنت الحيّ وأنا الميت وهل يرحم الميت إلاّ الحيّ؟ مولاي مولاي أنت الباقي وأنا الفاني وهل يرحم الفاني إلا الباقي؟ مولاي مولاي أنت الدائم وأنا الزائل وهل يرحم الزائل إلا الدائم؟ مولاي مولاي أنت الرازق وأنا المرزوق وهل يرحم المرزوق إلا الرازق؟

تكـن سبباً فـي إلحاق الضرر بالبدن -الضرر الذي يقره العقل- وهو حرام أو مكروه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**النظر سهم مسموم من سهام إبليس وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة**».

فإذا كانت الفطـرة سهم مسموم من سهام الشيطان يضرب قلب الناظر فماذا تفعل إذاً الذنوب الأكبر في نفس الإنسان؟ أو في حالة الشخص الملوث من الصبـاحِ إلى المساء بارتكاب الذنوب والنظرات الملوثة فكم يكون قلبه مريضاً؟

فكيف بعد كل هذا الخراب والتلوث يبزغ نور الفطرة ليتذكر الله؟

وكيف يدرك الحقيقة ويرى الحق ويعرف الله بهذا القلب المصاب بسهم الشيطـان؟ إلا أن شمل الإنسان لطف الحـق فيندم ويتحسر، فتحرق حسراته أوساخ قلبه ويغسل قلبه بماء التوبة.

الخلاصـة إن الإنسان كلمـا أذنب ذنباً وإن كان صغـيراً فإنه بمقدار الذنب يغطي نور الفطرة وتصدأ مرآة قلبه ويرتفع حجاب بينه وبين الله.

والشواهد على ذلك من الآيـات القرآنية كثيرة وكذلك الروايات، ومنهـا ما قـال سبحانه وتعالى في سورة المطففـين: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

ويقـول سبحانـه وتعالى في سورة الـروم: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[2].

(١) سورة المطففين/ آية ١٤-١٥.
(٢) سورة الروم/ آية ١٠.

ويروى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ما من مؤمن إلا وفي قلبه نكتـه بيضاء فإذا أذنـب خرج في تلك النكته سـواد، فإن تاب ذهب ذلـك السواد فـإن تمادى في الذنـوب زاد ذلك السـواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى الخير أبداً وهو قول الله عز وجل ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾».

وعـن الإمام الصـادق عليه السلام: «**كان أبي يقـول ما من شـيء أفسد للقلـوب من الخطيئـة إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله**».

ويقـول الإمـام أمير المؤمنـين عليه السلام: «**لا وجـع أوجـع للقلوب من الذنوب ولا خوف أشد من الموت وكف بالموت واعظاً**».

ويقـول كذلك: «**إنما أخاف عليكـم اثنين اتباع الهـوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فإنه يصّد عن الحق وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة**».

ويقـول الإمـام زين العابدين فـي دعاء أبي حمـزة الثمالي: «**وإن الراحـل إليـك قريـب المسافـة وإنـك لا تحتجب عـن خلقـك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك**»[1].

وخلاصـة الأمر أن أعمال وآمال الناس هـي التي تصنع الحجاب بين الله والناس وتمنعهم من رؤية الله ومعرفته.

شعر:

المُعين الذي هو أقرب لنفسي من نفسي فواعجباً كيف ابتعد عنه

(١) من دعاء أبي حمزة الثمالي.

النفس والقرآن الكريم

إن أهـم نقطة ترتكـز عليها حياة الإنسان هـي النفس فهي النواة وهـي الوسيلة وهي الغاية وهي الأساس فـي صلاح وفالح الإنسان أو ظلمه أي فشله.

وبالتالي فإن الإنسانية تتألف من مجموعة كبيرة من الأنفس ولهذا فإن فلاح وصلاح الإنسانية متوقفة على فلاح هذه الأنفس.

وقـد ذكـرت النفس فـي القـرآن الكريم تارة بالخير وتـارة بالشر ومعانيـه قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

وقولـه تعـالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[3].

(١) سورة البقرة/ آية ١٢٣.
(٢) سورة البقرة/ آية ٢٤٠.
(٣) سورة آل عمران/ آية ٣٠.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3].

نكتفي بهذا القدر من الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر النفس، تجد من خلالها ذكر السوء والمعاصي عن النفس أكثر من الخير رغم أن النفس خُلق فيها عنصر الخير أكثر من عنصر الشر.

وحتى يُسهل علينا معرفة النفس لا بُد من معرفة مكونات هذه النفس أولاً ليسهل علينا تعرفيها.

- **ممّ تتكون النفس؟**

كل نفس بشرية تتكون من طاقتين متناقضتين إحداهما ملك الروح وهي طاقة الخير عند الإنسان داخل النفس وهي أكبر من الطاقة الثانية والتي هي طاقة قرين الجن (شيطان النفس) بمقدار ثلثين إلى ثلث.

(١) سورة آل عمران/ آية ١٧٨.
(٢) سورة النساء/ آية ٤٩.
(٣) سورة النساء/ آية ١١١.

أولاً: طاقة ملك الروح (+) وتشكل ثلثي النفس:

طاقة ملك الروح النورانية التي تحتوي على كل أنواع الأشعة النورانية المتوهجة الموجودة في الكون كأشعة كاما وأشعة أكس والأشعة السينية وأشعة ليزر هي طاقة موجبة (+) وأيضاً تحتوي على أمواج الأشعة فوق البنفسجية، والأشعة تحت الحمراء وأمواج الرادار مدمجة مع الروح أي من روح الله أي أن هذه الطاقة التي تحتوي على ما يسمى بطيف الطاقة الكهروطيسية الكونية وهي الطاقة الخلاقة وهي ملك من ملائكة الحجب الذي صلى الإمام السجاد عليه السلام عليه في الصحيفة السجادية عند دعائه لحملة العرش والملائكة المقربين حيث يقول:

«**والروح الذي هو على ملائكة الحجب، والروح الذي هو من أمرك اللهم فصلّي عليهم**» وإن الروح التي نُفخت في الطين التي خُلق منها أبونا آدم عليه السلام هي من ملائكة الحجب والتي هي من أمر الله جل وعلا بدليل قوله تعالى عن بداية خلقه للإنسان: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾[1].

إذاً أصبح من الواضح لدينا أن هذه النفخة هي ملك الروح وهي النفخة نفسها التي تُنفخ وتدب في الطفل وهو في بطن أمه في الشهر الرابع من الحمل لتبعث فيه الحياة بعد مرحلة المضغة.

(١) سورة السجدة/ آية ٧-٩.

● مـا مميزات وخصائص وواجبات ملك الـروح داخل النفس والجسد؟

١- إن جـزءاً مهم من خصائص ملـك الروح بالإضافة إلى الروح هو تلك الطاقة النورانية المشعة الوهاجة الخلاقة تستمد قوتها الأولى من عالم الملكوت المتعالي حيث ترتبط بخيوط غير مرئية في السماء (الحجـب) وتستمد ديمومة توهجها بعد بعثها في الجسد من أصول الدين أي أن لأصـول الدين خطوطاً عريضة وهاجة متمثلة بالتوحيد والنبـوة والإمامـة والعدل والمعاد في النفـس الإنسانية ولا تعمل هذه الخطـوط إلاّ بعد انتظـار الناحيـة التربوية في المراحـل الأولى من الحيـاة ثم يأخذ ملـك الروح بعد ذلـك جزءاً مهماً مـن توهجه من فروع الدين الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة والخمس مقرونة بالعمل الصالح، وأن ملك الـروح هذا يكون مقره الرئيسي قريباً من الدماغ ويكـون على شكل نواة متوهجه مـن كل جهة من جهات الدماغ وتمتد خطـوط ملـك الروح الوهاجـة إلى كافة أنحاء الجسـم بشكل دوران حلـزوني داخل وحـول الجسم معطيـاً لهذا الجسد الحيـاة والطاقة اللازمة لديه وحياة خلايا الجسم وينتعش هذا الملك وطاقته على زاد التقـوى وخاصة قراءة القرآن، ويشـع قليلاً إلى خارج الجسد لتأمين الحمايـة من تلبس الجن والشياطـين الذين يحومون حولنا، وهذا ما يسمونه في العلوم الحديثة بالهيكل (الكهرومغناطيس).

٢- لقد قلنا بأن هذه الطاقة هي التي تعطي الحياة للإنسان وتبدأ منـذ بعثها في رحـم الأم بالطفل فـي الشهر الرابـع للحمل، ولهذا تسمـى هذه الطاقة خلاقة ولهذا يتحقـق الموت عند قبضها أو نزعها

أي أن لـدى ملك الروح واجبين رئيسيـين مُكلفاً بهما من رب الأرباب وبمشيئتـه هما البعث أو الحياة، والميعـاد، وما بينهما من خيرٍ وبركة وهذين الأمرين مسيّران ١٠٠٪ من رب العرش العظيم.

٣- يقـوم ملك الـروح بمرحلة الطفولـة بمسؤوليته عـبر ارتباطه بالعقـل عن استقبال وفرز وترسيـخ المفاهيم الخيرة عبر ما يلقّن به الطفل من البيت الذي يعيش فيه والبيئة التي يعيش فيها.

٤- يكون ملـك الروح له تواجده وسيطرته علـى الحواس البصر، السمـع، الشم، الـذوق، وأن هذه الحواس يكـون مسيطراً عليها عبر الدماغ وعبر تواجده في كل خلية من خلايا الجسم وأن لهذه الفقرة تكون مشتركة بين ملك الروح وقرين الجن ولكن بنسب متفاوتة.

٥- أهم مصدر من مصادر تقوية الروح هو الإيمان بأصول الدين وفروعه والعمل بها وخاصة قـراءة القرآن الكريم لِما له دوراً أساسياً خاصاً بعد سن التكليـف في توهج كافة خطوط ملك الروح الوهاجة وجعلها تعمل على بناء خلايا الجسم وحمايته من الأمراض.

٦- يأخـذ ملك الروح بعض قوته مـن الضحكة والابتسامة الهادئة والرضية مما يؤدي إلى إنشراح النفس والصدر والارتياح.

٧- ضرورة تهيئة المسلم للصلاة والمداومة عليها قبل سن التكليف وذلك لغرض شحن الـروح وإعطائها القوة النورانية اللازمة لإعادة توازن الخلل الذي سيطرأ على الفرد والحواس والهرمونات المنتشرة فـي جسد المراهق وأن هـذا التغيير الفزيولوجي علـى الجسد بدون الصلاة يكون بـه ميزان القوى داخل النفس مختـلاً لصالح (قرين

السوء) وهذه هي حكمة الصلاة في سن مبكرة لغرض إعادة التوازن إلى ملك الروح ومن المستحسن تعقيب الصلاة بالتسبيح والدعاء.

٨- يكون ملك الروح مسؤولاً عن تحصين الإنسان ووقايته من الجن والشياطين ومنعهم من اختراق الجسد من خلال إحاطته بهالة من الأشعة مكونة من كافة أنواع أمواج الطيف للطاقة الكهروطيسية الكونية خاصة عند الالتزام الديني.

٩- يقوى ملك الروح الذكاء والذي هو سبب العِلم داخل المخ ويأخذ أحد أسباب قوته وتوهجه منه.

١٠- من واجبات ملك الروح الوعي واليقظة أي أنه يقوم بإيقاظك من النوم والمحافظة على الوعي التام.

١١- ملك الروح مخلوق من نور يحب الضوء الذي أصله أشعة الشمس ويأخذ جزءاً من قوته وديمومته من هذا الضوء وهذه إحدى الحكم الربانية من آية الليل والنهار، وهذا هو تفسير شعورنا بشيء من الكآبة عند انتقالنا من مكان فيه ضوء إلى مكان فيه ظلمة وذلك لأن ملك الروح يضعف قليلاً في الظلمة وقرين السوء يقوي قليلاً فنحس بانقباض داخل النفس علماً أنه حتى نور المصباح ليلاً ينفع في تقوية ملك الروح ولهذا نرى أكثر الأطفال عندما يولدون يصابون منذ لحظة الولادة بالصفار أي خفوت ملك الروح وذلك لتأثر النطفة بالسحر ولهذا يعالج هذا الأمر بتعريض الطفل إلى ضوء مصباح الفلورسنت وذلك لإعطاء جرعة منشطة للروح لغرض تقويتها وسيطرتها على النفس والجسم ولهذا يزول الصفار بعد التعرض لضوء المصباح.

١٢- ملـك الروح مسؤول عن الذاكرة في متسعة العقل ويأخذ في الوقت نفسه بعضاً من قوته من تلك الذاكرة بالاعتماد على ما يختزنه العقـل وخلاياه من معلومات إيمانية وإيجابية خيّرة وعلمية ومن هذا النظام الذي يحكم الـروح بالعقل ولدت لدى الغرب فكرة الحاسوب الالكـتروني (الكمبيوتر) علمـاً أن الحاسوب مهما تطور يبقى نسخة جامـدة متخلفة بالمقارنـة مع النظام الذي يحكم الـروح بالعقل لأنه نظـام مرتبط بكنه قدرة الخالق ومشيئته خاصة نظام وأسرار الروح أنه نظام فوق كل مخلوق حتى الملائكة.

١٣- ملـك الـروح يحـب المـاء وينتعش بـه خاصـة إذا كان معزز بالبسملة وقمة الانتعاش تكون بالوضوء والاستحمام.

١٤- ملـك الروح يمد خطوطـه الوهاجة في كافـة أنحاء الجسم لتزويد الخلايا ما تحتاجه من طاقة خلاقة لبنائها ومن بين ذلك هو بناء عضلات الجسم أي أن سيطرة ملك الروح على العضلات وباقي أعضـاء الجسم نسبة ثلثـين إلى ثلث لقرين الجـن باستثناء الجهاز العصبـي، وعند اضطراب الجهـاز العصبي المسيطر عليه من قرين الجن يقوم ملك الروح بالمساعدة على إزالة الاضطراب عبر خطوطه الوهاجـة فترخي الأعصاب ولهذا ترى من يستمع إلى القرآن الكريم عندما تكون أعصابـه متوترة يشعر بالراحة ورخاوة الأعصاب ذلك لسيطرة ملك الروح على الأعصاب.

١٥- يفقد ملك الروح من قوته وينكمش داخل الجسد بشكل وقتي أي يبقـى الجسـد بدون هالة النور التي تحيط بـه للحظات فقط في حالة:

أ- ارتكاب المحارم.

ب- الغضب الشديد.

جـ- الغفلة الشديدة.

د- الخوف الشديد.

وأن المرور بمثل هذه الحالات هي من أهم أسباب المس أو التلبس للجن من اتباع الشيطان داخل جسد الإنسان.

١٦- من واجبات ملك الروح الحياء داخل النفس أي أنه يزرع داخل متسعة العقل التي يسيطر عليها شيئاً اسمه الحياء ومعززاً بالعملية التربوية ليكون أحد أسباب الردع عن ارتكاب المحارم، ويبدأ هذا الحياء أولاً من الله كما يقول الإمام علي عليه السلام: «**أفضل الحياء استحيائك من الله**» في هذا القول الحياء من ملك الروح، ويقول عليه السلام أيضاً: «**الحياء من الله يمحو كثيراً من الخطايا**» ولهذا علينا أن نستحي الله وأن هذا الحياء فيه محو للخطايا، وعلى المسلم أن يستحي من نفسه أولاً قبل أن يستحي من الناس، أي عليه أن لا يرتكب المعصية خجلاً من الناس بل عليه أن يشخص هذه المعصية داخل نفسه أولاً ليخجل منها لتكون رادعاً له وهكذا يمكننا أن نربي ونُطبّع ملك الروح هذا الأمانة الذي أودعها الله في نفوسنا علينا أن نُطبعهُ بالقرآن الكريم أولاً وبالسيرة النبوية ثانياً وبأخلاق وعلوم آل البيت لأنهم خزنة علوم القرآن.

ثانياً: طاقة قرين الجن (قرين السوء) (-) وتشكل ثلث النفس:

ويسمى أحياناً شيطان النفس ولهذا نرى بأن الإمام السجاد عليه السلام قد خصص في صحيفته السجادية دعاء خاصاً على الشيطان لأنه يعلم بأن هذا الشيطان يشكل جزءاً مهماً من النفس ومن هذا العالم.

نراه مثلاً في دعائه ليوم الثلاثاء يقول: «الحمد حقّهُ كما يستحقه حمداً كثيراً وأعوذ به من شرّ نفسي».

ويقول الله المعالي في سورة (ق): ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[1] السائق في الآية الكريمة هو قرين الجن الذي يسوق الإنسان والنفس إلى هواها وأما الشهيد فهو ملك الروح وهو شاهد على كل الأعمال والأفعال خيرها وشرها.

ونرى مثلاً في سورة الصافات قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾[2] في هذه الآية الكريمة يحدثنا تعالى عن حديث أهل الجنة فيما بينهم عندما يتكلم أحدهم مع أخ له في الجنة فيقول عن قرينه بأنه كان يدفعه إلى اعتقادات خاطئة، ولهذا نراه يقول قوله تعالى: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾[3].

أي أنه رأى قرينه في نار جهنم أي أن الله يوم الحساب سيفصل السائق عن الشهيد وأن هذا السائق سيكون الشيطان مصيره جهنم أو الجحيم كما وعده رب العباد وهو لا يُخلف وعده.

(١) سورة ق/ آية ٢١.
(٢) سورة الصافات/ آية ٥١.
(٣) سورة الصافات/ آية ٥٥.

● واجبات وصفات ومميزات قرين السوء داخل النفس:

١- يسمى بالقرين أو قرين السوء أو شيطان النفس وهو من الجن وهو عبارة عن طاقة ظلية خبيثة ذات خطوط سوداء [١] متأججة ومتعشقة مع ملك الروح داخل الجسد وموقعها على شكل أخطبوط حول الصرة ويمكن مشاهدة نبضه بالعين المجردة بين الصرة وعظم القفص ويرتبط بخطوطه الظلية المشابهة للأخطبوط بالدماغ وبالجهاز العصبي خاصة وتنتشر خطوطه الظلية بكثافة أكثر في جهة اليسار من جسم الإنسان وأن هذه الطاقة ممثلة بهذه الخطوط هي طاقة هدامة وسلبية وتشكل القطب السالب (-) وتشكل ثلث طاقة النفس، وهي التي تدفع الإنسان باتجاه السوء.

٢- هذه الطاقة طاقة هدامة وخبيثة وهي التي تتبنى تحطيم الخلايا وتكسر كريات الدم وهي التي تدفع بالإنسان إلى ارتكاب المعاصي والمساوىء وأحياناً تدفع به إلى التفكير بالانتحار لأن الانتحار لا يرضى الله بحسب قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ وإن هذه الروح الخبيثة تتسلخ مع ملك الروح إلى حياة البرزخ حتى يوم الحساب وأن هذه الروح هي التي قال عنها الله المتعالي في سورة (ق): ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ فهي السائق التي تقود الإنسان إلى المعاصي وتجعله يخوض مع الخائضين لتسوقه إلى جهنم في اليوم الآخر.

(١) المقصود بخطوط سوداء: أي أنها أقل نوراً وتوهماً، أي أشبه بالظِل.

٣- يقوم قرين الجـن بمرحلة الطفولة باستغلال الجانب التربوي السـيء، ويحـاول أن يدفع بالطفل إلى كثير مـن السلوك السلبي في مرحلـة الطفولـة فهو لـه تواجد في خلايـا المخ وله تأثـير على هذه الخلايا علـى ضوء التربية السيئـة التي يتربى عليهـا الطفل فيقوم بترسيـخ مفاهيـم يريدهـا هـو ليحصـل علـى الشخصيـة السلبية مستقبـلاً وأن عملية التأثير وخزن المعلومات داخل متسعة العقل التي يقوم بها ملك الروح وقرين الجن يعتمد بالدرجة الأساس على تربية الطفل داخل المحيط الذي يعيش فيه، وقلنا إن ملك الروح في بدايته يعتمد على الناحية التربوية ليقوى بها فإن كانت التربية على مفاهيم الخـير ينتعش ملك الـروح وإن كانت على مفاهيم الشر ينتعش قرين السـوء ولهذا فإن هذه المرحلـة من المراحل المهمة في تبلور شخصية الإنسان.

٤- يكـون لقريـن الجن داخـل النفـس والجسد تواجـد وسيطرة علـى كافة الحواس عبر انتشار خطوطه الظليـة في الدماغ والجهاز العصبي والحواس (البصر، السمع، الشم، اللمس، التذوق) وبنسب متفاوتة.

مثـلاً: إذا كنـت تبصـر بنيـة صافيـة أن نظرة صـادرة من ملك الـروح فتكـون نظرتـك مقبولـة، وإذا كنـت تنظر بنية غـير صافية فتكـون نظرتك غير مقبولة وتسجل سيئـة عليك ومنها نظرة الحسد مثـلاً أي أنهـا تخرج من متسعة العقل بنية خبيثـة ولهذا فإن الطاقة الكهرومغناطيسيـة المنبعثة مـن قرين الجن لديـك القطب السالب (-) داخل النفس تكون أقوى من ملك الروح في تلك اللحظات ولهذا

تكون مؤذية للشخص المقابل لأنها تُعطى قوة لقرين الشخص المقابل في خطوط معينة مسؤولة عن جزء معين في ذلك الجسد فنرى إن ذلك الشخص يمرض أو يسقط أو يسقط منهُ شيء وذلك لاختلال التوازن الحاصل من جراء القوة الإضافية التي طرأت على قرين جن الشخص المقابل وهذا هو سِر ما يسمونه بنظرة العين والحسد.

وسنعطي مثالاً آخر عن النظر لأهمية حاسة البصر وعلاقتها بارتكاب المحارم، فمثلاً عندما تصادفك امرأة محجبة بلباس شرعي كامل فبالتأكيد ستنظر إليها نظرة مودة واحترام أي أن نظرتك إليها عبر تحصينها لنفسها باللباس الشرعي ستكون صادرة من ملك الروح، وإن رأيت امرأة أخرى بملابس غير شرعية كأن تكون خليعة مثلاً، فتكون نظرتك إليها نظرة شهوة من جراء الإغراء الصادر منها والذي ترسخ داخل مُتسعة عقلك عبر البصر.. والإمام علي عليه السلام يقول النظرة الأولى لك والثانية عليك وذلك لأن النظرة الأولى يعتمد عليها القرار الذي يتخذ داخل متسعة عقلك (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) وفي حالة عدم تكرار النظرة فهذا يعني أن ملك الروح عندك قوياً في هذه اللحظة واستطاع أن يسيطر على الموقف داخل العقل مانعاً القرين من السيطرة وهذا ما يسمى (بغض البصر) ويُعطى عتاده للنفس.

٥- من واجبات قرين الجن داخل النفس والجسد أنه مسؤول عن عملية النوم ويعود إليها حالة اللاوعي.

إن عملية النوم تجري كالآتي: عندما يأتي وقت النوم وتكون أنت اتخذت قرارك داخل متسعة العقل بأنك قررت النوم يقوم قرين

الجن بالسيطـرة على أجزاء معينة داخل الدمـاغ والجهاز العصبي والسيطرة على الجفون عن طريق تواجده بما يُسمى طبياً تحت المِهاد وفـي نفس الوقت يقابلها إنسحاب تدريجي مـن قبل ملك الروح إلى عالم الملكوت ليبقى جزء يسير منه في الجسم للمحافظة على وظائف الجسـم كالنمو مثلاً مع بقـاء سيطرة قرين الجن على الجسد ولهذا تعتبر عملية النـوم مبطلة للوضوء لأن الجسد كان مسيطراً عليه من قبل القوة السالبـة الخبيثة للنفس ولهذا نرى بعد النهوض من النوم وقبـل أن نغسـل وجوهنا أن أجزاء كثيرة مـن الوجه خاصة في وضع غـير طبيعي لسيطرة قريـن الجن عليها ونراها لا تعـود إلى وضعها الطبيعـي إلا بعد الغسـل بالماء لأن ملك الروح يحـب الماء وينتعش به كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

أمـا عملية الاستيقاظ من النوم فهي تتم بعد أن يفقد قرين الجن سيطرتـه على الأجزاء المسيطر عليها أثناء النوم من جراء التعب أي بعـد ٦ أو ٧ ساعات أو ثمانية ساعات نـوم بعد أن ارتاحت العضلات وارتـاح الدماغ من التفكـير يفقد قرين الجن السيطـرة فيعود ملك الـروح لإيقاظك على ضوء قرار قررته أنت بالاستيقاظ قبل النوم أي يأتـي ملك الروح لينفذ قرارك. وهكذا نـرى بأن الملتزم دينياً عندما يقـرر النهوض فجراً لأداء صلاة الفجـر مثلاً إن كان جسمه مرتاحاً

(١) سورة الأنعام/ آية ٦٠.

يستيقظ تنفيذاً، من ملك الروح للقرار الذي اتخذه وكل ذلك يجري بعلم الله ومشيئته.

سبق وقلنا أن عملية النوم مسيطر عليها بنسبة كبيرة من قِبل قرين الجن الذي له ارتباط بعالم الشيطان السفلي أما ملك الروح مرتبط بعالم الملكوت العلوي من هنا تأتي أهمية أن يبيت المسلم على وضوء وطهارة وعلى جهة اليمين متحفظاً بالآيات القرآنية قبل النوم ليضمن مشاهدة الرؤيا لأنها من العالم العلوي.. أما هذه الأحلام التي نشاهدها فهي معظمها من قرين الجن وإيحاءات الجن والشياطين من حولنا وخاصة إذا كُنا مسحورين ولهذا فإن كثرة مشاهدة الأحلام تعني بأن الإنسان مصاب بالسحر.

٦- إن أهم مصدر من مصادر تقوية القرين هو الابتعاد عن الإيمان وعدم الالتزام الديني وعدم قراءة القرآن فكلما ازداد عدم الإيمام وعدم الالتزام الديني والابتعاد عن القرآن كلما استقوى القرين أكثر وأصبح يدفع إلى عدم الالتزام أكثر وكلما كثر عدم الالتزام الديني وعدم قراءة القرآن أدى ذلك إلى انتشار هذه القوة الخبيثة السالبة الهدامة الحارة مما تسبب مزيداً من إئتلاف وتحطيم للخلايا وإضعاف لجهاز المناعة داخل الجسم ولهذا نرى بأن الغربيين رغم تطورهم في الصحة الوقائية وفي علوم الصحة نرى أنهم تنتشر عندهم الكثير من الأمراض كالسرطان والإيدز وغيرها كأنواع الأورام اللمفية الصدغية وبعض أنواع تكسر أقراص الدم وسائر الأراض المنتشرة وبينما تنحسر هذه الأمراض في بلاد المسلمين وخاصة البلدان المتحفظة.

٧- كافـة أمراض الكآبة سببها قوة قريـن السوء المستقوي بسحر مـا، كما وأن حالة البكاء وهي تعبير عن الضعف لدى الإنسان كذلك منـه ولهذا فالقرين هو الذي يقوم بها، وقد يسأل سائل ما هو تفسير دموع الخشوع؟

نقـول أن قريـن السوء له سيطـرة على الغـدد الدمعية عن طريق الدمـاغ وعن طريـق الأعصاب أي جـدار الغدة، فالـذي يجري عند الخشـوع مثلاً عند قراءة القرآن بفهم وإصغـاء أن يقوى ملك الروح فتصدر منـه ومضات نورانية مشعة تنتشر فـي سائر أنحاء الجسم في نفس الوقت تنتشر في الجزء المسيطر عليه من القرين فينسحب القرين من شـدة هذه الومضات النورانيـة ليسيطر ملك الروح على متسعة العقل في المكان المسؤول عن الدموع مع السيطرة على الجهاز العصبي وقتيـاً لأن السيطرة لهذا الجهاز عند البكاء هي للقرين مع السيطـرة الوقتية على الغدد الدمعية فتحـدث هنا لحظات الخشوع وهي قصـيرة وهذا هو الخشوع الحقيقي، وأحيانـاً تطول قليلاً، وإن هـذه اللحظات هي من أكثر الأوقات التـي يسجل فيها العبد حضوراً فاعـلاً فـي السماء أي في عـالم الملكوت المتعـالي لأن دموع الخشوع شافعة ونافعة يوم الحسرة والندامة.

٨- إن أسباب التلبس هي إحدى أسباب قوة القرين والتي هي:

أ- الغضب. ب- الخوف.

جـ- الغفلة. د- ارتكاب المحارم.

سـوف نناقش كل فقرة على حدة حتى نفهـم الكثير من الحقائق داخل أنفسنا والحقائق التي نراها أمام أعيننا في هذا الكون.

أ- الغضب:

إن من بين مظاهر الغضب البسيطة بين الناس هي النزغ الشيطاني قوله تعالى ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[1].

إن حالة الغضب والعصبية الشديدة التي يمر بها الإنسان وخاصة عندما يمر بظروف سيئة معقدة ناتجة من تمادي الشيطان واستهتاره في حياتنا فكل ما نراه من ثورة وغضب انفعال كأن يكون بين العائلة الواحدة أو مع المعارف أو مع الأقرباء داخل المجتمع يؤدي إلى قوة القرين وبالتالي احتراق خلايا الجسم أكثر مما يؤدي إلى مختلف الأمراض ومنها أمراض الضغط هذا على مستوى الأفراد وأما على مستوى أكبر فكل ما نراه من صراعات وانفعالات دولية وإقليمية فجميعها ناتجة من قوة القرين وضعف ملك الروح وإن سيطرة القرين على الجهاز العصبي هو الذي يجعل الخلاف البسيط خلافاً يؤدي إلى عواقب وخيمة، ومنها التلبس على مستوى الأفراد فيؤدي هذا الصراع إلى القتل احياناً على أمور لا تستوجب القتل ولهذا ننصح من يغضب أن يقول دائماً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لامتصاص هذا الغضب.

إن قرين السوء هو الذي يجعل الإنسان ظالماً قاهراً متجبراً بعيداً عن الحق من هنا تبرز أهمية ترويض هذا القرين والسيطرة عليه داخل النفس بالإيمان والتقوى وخاصة قراءة القرآن لأنها من

(١) سورة الإسراء/ آية ٥٣.

السمـات البـارزة للمؤمن المتقـي، يقول الإمام أمـير المؤمنين عليه السلام: «**المؤمن إذا نظر اعتبر، وإذا سكت تفكّر، وإذا ابتلى صبر**». وعلينا أن نحرر أنفسنا وهو الجهاد الأكبر لأن عدونا في أحشائنا وبين جنبينا، فكيف نقاتل نحن المسلمون أعداؤنا على الأرض ونحن نحمل أعداءنا في جوارحنا؟

هـا نحن اليوم نـرى المقاتلين في لبنان (حـزب الله) بالرغم من بساطـة الأسلحـة والعدة إلا أنهـم بإيمانهم القـوي وتحرير أنفسهم استطاعـوا التغلـب على إسرائيـل العدو اللـدود التي فشلـت الدول العربيـة في دحره. ولا يسعنـا إلا أن نقول ما قاله الإمام السجاد في الصحيفـة السجادية، مناجاة المعتصمين: «**ويا ناصر المستصعفين، ويـا مجـير الخائفين، ويـا مغيث المكروبين ويا حصـن اللاجئين**». وفـي موقع آخر من نفس الدعاء: «**أن تجعل علينا واقية تنجينا من الهلـكات ونجنبنا من الآفات وتكننا من دواهي المصيبات، وأن تنزل علينـا مـن سكينتك وأن تغشي وجوهنا بأنـوار محبتك، وأن تؤوينا إلى شديد ركنك، وأن تحوينا في أكناف عصمتك برأفتك ورحمتك يا أرحم الراحمين**».

ب- الخوف:

إن الإحساس بالخوف هو من واجبات القرين المهمة التي يحاول أن يزرعها في متسعة العقل للحصول على الشخصية الجبانة الضعيفة غـير قـادرة العطـاء ومستسلمـة لثورة الغضـب الوقتيـة التي تدخل الإنسـان في متاهات المشاكل والخلافات وتصنع من الإنسان إنساناً ضعيفـاً جباناً ترتعـد فرائصه عند المرور بحـالات تتطلب الشجاعة

فيكـون هدفاً للتلبس الشيطاني وهو مـن نسيج القرين داخل النفس وهذا ما يسعده.

جـ- ارتكاب المحارم:

وجود القرين داخل النفس هو السبب الرئيسي في ارتكاب المحارم فهـو يحاول أن يـزرع داخل متسعة العقل كافة العـادات السيئة سواء عن طريق التزيين والفتنة والإبهار والزخرف، لسيطرته على مفاتيح كثـيرة كالحواس مثلاً فوجوده في البصر مثـلاً يُعتبر تأثيره مدخلاً للدفـع باتجاه حدوث العمليـة الجنسية المحرّمة يسيطـر فيها قرين الجـن على النفس بنسبة كبيرة من مفاتيح هذه العملية فمثلاً يرسخ فـي الدمـاغ مفهـوم الشهوة وفي نفـس الوقت يسيطـر على الجهاز العصبـي الذي مقره أسفـل الفقرات العجزيـة والقريب من منطقة الصُلب وتمتد خطوطه عبر الجهاز العصبي نحو المنطقة التناسلية.

وهكـذا يبسط سيطرة تامة في هذه العملية وعن طريقها يستطيع أن يدفـع بمعظم العبـاد غير المحصنين إلى ارتـكاب المحارم خاصة محرمة الزنى بكل أنواعه ومنه زنى المحارم، فزنى المحارم هو بدافع القريـن وأعمـال السحر التي تقوى القريـن ١٠٠٪ وتؤدي إلى ضعف ملك الروح.

د- الغفلة:

فـي الحقيقـة أن الغفلـة تبدأ عند الأفـراد بشـرود الذهن وعدم الانتباه على ما يجري حولك بحيث لو جرى أي حادث مفاجئ يجعلك (تنقـز) فتكون بلحظتها هدفاً للتلبـس لأن القرين يقوى في اللحظة ويضعف ملك الروح فتصبح هدفاً لأنك تفقد تحصينك.

٩- قـوة روح قرين الجن تجعلك كثير النسيان قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[١].

وقولـه تعـالى: ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[٢] الآيـتين السابقتين دليـل قاطع علـى أن النسيان هو من الشيطان أومـن شيطان النفس وهو القرين، فالحادثة الأولى جرت على النبي موسى عليه السلام في سورة الكهـف الشريفة والحادثـة الثانية جرت مع النبـي يوسف عليه السلام في سورة يوسف ومن جراء هذا النسيان الذي سببه الشيطان بقي النبي ماكثـاً في سجنه ظلماً وافتراء لأن صاحبه نسـي أن يُذكر سيده بأن لديه سجين مظلوم.

فعلينـا جميعاً عند نسيان أي شـيء بذكر الصلاة على محمد وآل محمد عـدة مرات ليعطـي شحن لقـوة ملك الـروح فيطرد خطوط القرين المسببة للنسيان لأن ملك الروح مسؤول عن الذاكرة.

لـذا نجـد علماء النفس فـي الغرب قسموا الـذكاء على ضوء قوة ملـك الروح والقرين فمثلاً من يملـك ملك الروح قوياً وقريناً ضعيفاً سريع التذكر قليل النسيان أي يكون ذكياً.

ومـن يحمل ملك روح قويـاً وقريناً قوياً يكون سريـع التذكر سريع

(١) سورة الكهف/ آية ٦٣.
(٢) سورة يوسف/٤٢.

النسيان أي درجة ذكائه وسط، ومن يملك ملك روح ضعيفاً وقريناً قوياً يكون بطئ التذكر سريع النسيان وهذا يكون غبياً فعلى هذا الشخص أن يعالج نفسه بالقرآن الكريم فيحرر نفسه من الاحتلال الشيطاني فيصبح ذكياً ذلك كالآتي:

رقية العلاج للنسيان:

أ- يجب قراءة سورة الفاتحة (٧) مرات على روح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى روح آله الطاهرين بنية العافية والشفاء من العارض والرزق واليسر.

ب- قراءة آية الكرسي ٧ مرات.

جـ- قراءة الآية (٤٢) من سورة يوسف (٧) مرات وهي إحدى آيات العلاج لعارض النسيان وهي: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾.

د- قراءة الآية (٦٣) من سورة الكهف وهذه هي آية الاختصاص الثانية لعلاج النسيان وهي ﴿ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾.

هـ- قراءة آية النور من سورة النور الآية (٣٥) وذلك لتقوية الخطوط الوهاجة لملك الروح ومنحها نوراً من نور الحجب هي: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ

زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

يكفي ثلاث مرات لقراءة هذه الآية التي يصف بها الله نفسه بالنور.

و- لتنشيط الذاكرة نقرأ هذه الآيات من سورة الأعلى ٧ مرات، الآية ٨، ٩، ١٠ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾.

علماً أن قراءة سورة الأعلى بتكرار تفيد بشفاء جميع الأمراض الرأس والدماغ ومنها مرض سحايا الدماغ.

ع- قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات.

غ- قراءة المعوذتين ثلاث مرات.

النسيان يعتبر مشكلة يومية يعاني منها العباد ويفقد النسيان الكثير من سمات الشخصية الناجحة المؤمنة، وبهذا تبرز ضرورة لجوئنا إلى نور القرآن للخلاص من العارض وتحويله إلى وسيلة من وسائل للحصول على الذكاء وهذا من فضل الله علينا لبلوغ أشرف منازل الكرامة بقرآنه العزيز الحكيم.

١٠- من مصادر تقوية القرين هو الاستماع إلى الموسيقى والأغاني فكلما أكثرت الاستماع كلما قوي قرينك وبالتالي يصبح لديك ما يسمى بالأذن الموسيقية أي أنك اختزنت الكثير داخل متسعة عقلك

وهذا يضعف ملك الروح إلى أقصى مدى خاصة في لحظات الغناء ولهذا نرى الفنانين والمطربين جميعهم يصابون بأمراض خطيرة بعد سن الأربعين، ولهذا نرى في الوسط الفني يكثر الحسد والنفاق والتباغض وارتكاب المحارم.

١١- قوة القرين تجعلك حسوداً قوله تعالى في سورة الفلق: ﴿**ومن شر حاسد إذا حسد**﴾ أي أن الحسد من صفات وواجبات القرين التي يزرعها في متسعة العقل لغرض التحاسد والتباغض فيما بين الناس مستغلاً وجوده في أماكن حساسة داخل النفس والجسد كالبصر مثلاً.

أما المؤمن المحصن لا يؤثر عليه خاصة إذا قرأ سورة الفلق ثلاث مرات صباحاً ومساءً كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**الحسود لا يسود**» أي عندما يكون بين المؤمنين المحصنين، أما إمام المتقين علي عليه السلام: «**من لم يقهر جسده كان جسده قبراً لنفسه**».

١٢- قوة القرين تؤدي إلى الرائحة غير الزكية في الجسم وذلك لأنها روح جني فالجن في الكون يتغذون على الفضلات وعلى بقايا العظام أما قرين الجن داخل النفس فيتغذى على الفضلات في القولون ويأخذ جزءاً من غذائه الجسدي منه وبما أنه طاقة هدامة إذا الخلايا التي تتحطم يطفو جزء منها على سطح الجسد وتظهر على شكل أوساخ وبكتيريا ذات رائحة غير زكية ولهذا يستوجب الاستحمام والوضوء لإزالة هذه الأوساخ وإعطاء جرعة منعشة بالماء لملك الروح وهكذا نحافظ على ديمومة أجسامنا.

١٣- القرين يساعد على الكذب ويحاول أن يزرع هذه الصفة في

متسعة العقل، والكذب صفة شيطانية بحتة وتدخل الإنسان في مأزق لا تعد ولا تحصى لهذا فإن الإمام علياً عليه السلام يقول: «أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب»، ويقول عليه السلام أيضاً عن الكذب: «الكذب في العاجلة عارٌ وفي الآجلة عذاب النار».

١٤- الوسواس: هو من صفات وواجبات القرين الرئيسية وتتألف خطوط الوسواس المتأججة من طاقة نفاثة داخل جسد القرين وتسيطر على أجزاء معينة في متسعة العقل لزرع الشك لدى الإنسان وخاصة عندما يبتعد عن الإيمان.

١٥- قرين الجن يحب الظلمة ويقوى بالظلمة أي بالليل ويكون لضوء القمر دور أساس لتزويد القرين بالطاقة.. ولهذا نرى بأن هنالك طرق حساب لمن يريد أن ينجب ولديه ضعف أو يريد أن ينجب ذكراً مثلاً، تجد القرين يهاجم الحيمن الذكري لإضعافه أو قتله لإكثار نسل الإناث وهكذا يكون له دور مع النطفة ويبقى دوره مسخراً في إضعاف الإنسان وإيصاله إلى أعلى مستوى من الضعف والوهن وبهذا تبرزُ أهمية الإيمان وأهمية القرآن ومن الممكن أن يأتيك مولود ذكر حتى وإن كان القمر بدراً، رغماً من أنف الشيطان.

بعد معرفة مكونات النفس نستطيع أن نُعرّف النفس الإنسانية.

تعريف النفس الإنسانية

هي عبارة عن طاقتان إحداهما نورانية مشعة غير مرئية ومتوهجة وخلاقة وهي طاقة ملك الروح والمرتبطة بخيوط في السماء (عالم الملكوت) مُعشقٌ فيها طاقة ظلية ذات خطوط سوداء نفاثة أو متأججة وترتبط هاتان الطاقتان بخطوطهما المتوهجة والنفاثة بخلايا الدماغ وكافة أنحاء الجسم لإعطاءه الحياة عبر ما ينتج من عملية الاحتراق لهاتين الطاقتين للخلايا (خلايا الجسم) عند القيام بواجباته وتخترق طاقة ملك الروح الجسد قليلاً مشكلة هالة من نور حول الجسد بشكل حلزوني لإعطائه حاجزاً واقياً من الجن والشياطين وتتوقف حياة الإنسان عند نزع هاتين الطاقتين من قِبل الباري ويتحقق الموت.

● **تعريف النفس الإنسانية المؤمنة:**

هي مزيج من طاقة ملك الروح النورانية الوهاجة الخلاّقة والتي تستمد قوتها الأولى من أصول الدين، والتي هي التوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد وتديمها بعد ذلك بفروع الدين وهي الصلاة والصوم والحج والزكاة والعمل الصالح، وذلك لغرض فرض سيطرة شبه مطلقة على الطاقة الظلية السالبة الثانية داخل النفس والتي هي روح القرين (قرين الجن) (شيطان النفس) ومنعه من القيام بفعالياته السيئة داخل النفس وبالتالي منع ظهور الشخصية السلبية، لغرض الحصول على الشخصية الإيمانية الإيجابية التي يرضى عنها الله، وبالتالي فإن كل عبد يستطيع أن يقوم بهذه الفعاليات داخل نفسه يستحق أن نقول عنه (رض).

النفس الإنسانية ثعبان فمتى مات

ضرب علماء الأخلاق مثالاً على النفس الإنسانية، فقالوا: إنه كان في مدينة بغداد أحد الصعاليك، كان في يوم ما قد اصطاد عدة ثعابين وأفاعي، وجاء بها إلى ساحل نهر دجلة لعرضها على المارة.

فاجتمع الناس هناك للتفرج على تلك الثعابين التي كانت قد سبتت، وتعطلت عن الحركة بسبب برودة الجو، وقد يراها الرائي في ذلك الوقت فيظن أنها ميتة.

ولقد ظن ذلك الصعلوك أنها ميتة، فكان يتناول أذنابها ويضعها على أكتافه، ويحركها على منكبيه ومع أنها لم تكن ميتة، فهي عديمة الخطر، لأنها سابتة نتيجة البرودة، فجأة انكشف السحاب وتبددت الغيوم، وسطعت الشمس، فوصل الدفئ إلى بدن الأفاعي والثعابين، فتحركت فجأة، وهجمت على أول فريسة لها وهو الصعلوك الصياد، فحصل الهرج والمرج في الناس، وتدافعوا من أجل الفرار، فوقع الناس بعضهم على بعض، فمنهم من غرق في النهر ومنهم من لفظ أنفاسه تحت وطأة الأقدام المضطربة، ومنهم من أصبح طعماً سهلاً لتلك الثعابين والأفاعي، فاقتضت تلك الثعابين على فرائسها واصطادت لنفسها من فكر في إصطيادها. ولذلك يقال: إن نفس بني ادم ثعبان.

النفس ثعبان فمتى ماتت قد عظّ بها الغم فاستكانت

فلا تنظر إلى الإنسان على أنه قد حضر المسجد وجلس جلسة الصبي، بل دعه -لا سمح الله- يعطي مليونين أو ثلاثة ملايين من

المـال تنفعه أو أن يعطى منصباً أو مسؤولية تفيده، وانظر حينها إلى قلبه أيصيبـه الإنكسار؟ وهل تراه يبقى منخفض الجناح؟ لأنك إنما تراه الآن، ونفسه كالثعبان التي أصابها البدر فسبتت، كله تسليم.

عندمـا يخاطب الخطيـب على المنبر، قل: يـا اللّه، فيقول: يا اللّه بكل خضـوع، واستجداء، وعندما يقول الخطيب: قل: إلهي العفو عن المعاصي تراه يذرف الدمع وينادي: إلهي العفو.

ولكن إذا حصل على منصب مفيد -لا سمح اللّه- وناداه الخطيب أيها السيد الفلاني تعال وقل: العفو يا إلهي على ما ارتكبته من ذنوب وآثـام، لردّ عليه قائـلاً: ولِمَ العفو؟ أتراني فعلـت شيئاً يستحق طلب العفو؟

ظلم النفس

كل شيء في الوجود يهتف باسمك ويشير إليك يا رب.. لقد عرفتك ولكن لم آتِ إليك ولم التفت إلى أحكامك لم أضع جبهتي على التراب في حضرتك ولم أمدّ كفي نحوك.. كنت عنك يا إلهي غافلاً وهذا ظلم عظيم أنزله بنفسي.

النبؤات عبر التاريخ الطويل أعرفها جميعاً.. الأنبياء جاءوا من أجل إسعاد البشر وأنت يا إلهي أرسلتهم إلينا، أرسلتهم من أجل سعادة البشر.. أرسلتهم من أجل هدايتهم وإنقاذهم من وساوس الشيطان وإغواء إبليس اعترف يا إلهي لم أصغ إلى صوت الرسول.. لم أتأمل في كلمات الأئمة الطاهرين.. أجل استغرقت في الثقافات الأجنبية التي تأتي من مصادر لا نعرفها لم أجعل نفسي تتشرّب ثقافة أهل البيت تركتها تتلوث بثقافات ليست إنسانية صافية.. وهكذا ظلمت نفسي.

إلهي وربي هذا القرآن الكريم الذي أنزلته علينا وفيه ما فيه من تفصيل كل شيء وبيان كل شيء هذا الكتاب الذي ينساب في تلاوته كنهر وفيه من اللئالئ كالبحر: هذا الكتاب الكريم وضعته وراء ظهري ولم التفت إلى ما فيه من الكنوز السماوية والإنسانية.. وهذا ظلم فادح أنزلته بنفسي..

إلهي وربي وقد نصبت لنا أناساً طاهرين يدلّونا الطريق ويعرّفونا سواء السبيل وهم ميراث سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم جعلتهم يا إلهي عدلاً للقرآن يفسرونه لنا ويقرأوه لنا، ويبينون لنا الحق من الباطل والغث من السمين والصالح من الطالح. وكم يا إلهي تحملوا من

أجلنـا صنوف العذاب وظلم الطغـاة ولكنهم ظلّوا يقاومون من أجلنا ويبّينـون لنا الأحـكام... أحكامك يا إلهي وربي وسيـدي.. وكانوا لنا خير معلم وأفضل هادٍ ونعم العون.

وهـذا يا إلهي كتاب (نهج البلاغـة) الذي هو شعاع من كتابك قد سمـا في بلاغته وتألق فـي معانيه التي هي جزء مـن معاني كتابك العزيز.. حتى قيل: أنه دون كلامك وفوق كلام المخلوقين.

وهـذه يا إلهي (الصحيفـة السجادية) زبـور آل رسولك وحبيبك ونبيك الذي اصطفيته، وفيها يا رب من الكلمات النورانية والمناجاة الإلهية والمعاني التي ترتفع بالإنسان إلى قربك وجوارك.

أجـل يـا رب وكتب غـير ذلـك ألفهـا أوليـاؤك وصنّفهـا عبادك الصالحون من الذين عرفوا الطريق فسلكوه ودعوا الناس به.

لكنـي يا إلهي ضربت صفحاً عن جميـع ذلك فقد خطفت بصري مجلات براقة وأخذت لبّي كلمات مزوّقة أجل خدعتني زخرف القول عن سماع كلامك وأخذني الضجيج بعيداً عن الإصغاء لصوتك وهذا يـا إلهي ظلـم عظيم ظلمت به نفسي، ولولا جهلـي يا إلهي لم أقترف ذنبـاً ولم أكتسـب إثماً ولم أرتكب معصيـة.. مستنقع الجهل أقعدني عـن المسـير إليـك، إنها الغفلـة التي غطـت على بصيرتـي فلم أرى جمـال وجهك، ولو أني رأيت جمالك يا إلهي لأدركت قبح ما أنا أفعله بنفسي.. إنه الجهل الذي غطى على بصيرتي ولم أرى صراطك، ولو أني اكتشفت صراطك ما انزلقت قدمي في الهاوية إلى حيث جحيم فراقك والبعد عن ظلالك.

إلهـي فما الذي فعلته قبـال إحسانك وما الـذي عملته جواباً على

كرمـك غير الاستغراق فـي الغفلة والجهل واقـتراف الذنوب فكأني لا أعرفـك وكأنك لا تراني ولا تعلم بحالي.. ولكن أبت رحمتك إلا أن تمهلني وتغمرني برحمتك وتوسع علي برزقك فلعلي أصمد في غفلتي وأعـود إلى رشدي وأتذكـر ميثاقك علي.. فيا إلهي هـا أنا أتوب إلى نفسـي وأقـرّ بظلمي وأعترف بجهلي.. أجل يـا رب ظلمت نفسي وقد سمعت يا سيدي من أوليائك أن الإقرار نجاة والاعتراف خلاص.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**والله ما ينجو من الذنب إلاّ من أقرّ به**».

وقال أيضاً: «**لا والله ما أراد الله من الناس إلاّ خصلتين: أن يُقرّوا له بالنعم فيزيدهم، وبالذنوب فيغفرها لهم**».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**المقرّ بالذنب تائب**».

- **قصة:**

كان عبدالواحـد بـن زيد من زمـرة الفسّاق والفجّـار، فمرّ ذات يوم بمجلـس يوسف بن الحسـين وكان يعظ الناس وكان مـن العبّاد الزهاد فسمعه يقول والناس يصغون: (دعاهم بلطفه كأنه محتاج إليهم) فرمي عبدالواحد جبّة كانت عليه وأعول كالمرأة وانطلق يجري جهة المقبرة.

وفـي تلك الليلة سمع يوسف بن الحسين في الرؤيا هاتفاً يقول له: أدرك الشـاب التائب (يعني بشّره بالمغفـرة) وراح يوسف يبحث عن الشاب حتى وجده بعد ثلاثة أيام في المقبرة وكان يعفر وجهه بالتراب ويناجـي ويبكي، فلما وقعت عينا الشاب على يوسف بن الحسين قال: أرسلوك قبل ثلاثة أيام فتأتيني الآن؟! قال هذا ثم لفظ أنفاسه وسلّم روحه إلى واهب الروح.

المذنب إذا تاب وندم وتضرّع إلى الله عز وجل وأناب فستفتح له أبواب المغفرة والرحمة والدليل على ذلك هذه القصة:

جاء في ترجمة محمود الغزنوي أنه لمّا تربّع على عرش السلطنة والمُلك مرّ يوماً بشاطئ البحر فرأى فتى يلقي بشباكه إلى البحر وكان في غاية الحزن فسأله السلطان عن سبب حزنه فقال الفتى: أيها الملك وكيف لا أحزن ونحن سبعة يتامى من فقراء أمّنا عجوز فمن أين بي أن أكفل معيشتهم فأنا آتي كل يوم إلى البحر، فربما اصطدت سمكة أو سمكتين، فقال الملك: أتحب أن اصطاد معك وأكون شريكك؟!

فقال الشاب: نعم.

قال السلطان: اسحب الشباك باسمي، فلما أراد أن يفعل ذلك فإذا هو لا يستطيع، فقال الملك لمن حوله: أعينوه.

فلما أخرجوا الشباك فإذا هي ملأى بالسمك الوفير.

ولمّا عاد السلطان إلى قصره وجلس على سرير الحكم أرسل وراء الفتى فجاء فأجلسه إلى جانبه وراح يسأله وكان كلما استنكر أحد وقال: ليس مكان هذا الفتى إلى جانبك، يقول: أنه على كل حال شريكي وهو في ما لدي شريك.

أجل إذا كان الملك المجازي هكذا يفعل، فما بالك بالملك الحقيقي وعنده الخزائن التي لا تنفد ولا تنتهي كيف ستراه يفعل مع الإنسان الفقير المحتاج والذي لا يمكن له أن يعيش حتى لحظة واحدة من دونه؟

جهاد النفس

وذمّها وتأديبها وإصلاحها عند ميلها إلى الشّر، ومخالفة الهوى واجتناب الشهوات، فقد ورد أنّ جهاد النفس هو الجهاد الأكبر[1]، وإنّ المجاهد من جاهد نفسه، وأنّ أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه، وقال الإمام الصادق عليه السلام: اجعل نفسك عدوّاً تجاهده، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس تولّوا من أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فزع يوم القيامة**».

وقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ رجلاً في بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة، ثم قرّب قرباناً فلم يقبل منه، فقال لنفسه: ما أتيت إلاّ منكِ، وما الذّم إلاّ لكِ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ذمّك نفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة.

وقد جعل أمير المؤمنين عليه السلام اتّباع الهوى وطول الأمل أخوف مما يخاف علينا، ثم قال عليه السلام: أمّا اتّباع الهوى فإنّه يصدّ عن الحق وأمّا طول الأمل فإنّه ينسي الآخرة، وفي خبر آخر: احذروا أهواءكم كما تحتذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتّباع أهوائهم، وحصائد ألسنتهم.

واعتبر الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه وجعلنا من كلّ مكروه

(١) عن أبي عبدالله عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث بسريّة فلما رجعوا، قال: مرحباً بقوم قصوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: جهاد النفس.

فـداه، فـي المقلّد -بالفتح- مخالفة الهـوى، وفـي الأخبار المستفيضة عنهم عليهم السلام بعبارات متقاربة يجمعها أن الله عزّ وجلّ يقول: وعزتي وجـلالي وعظمتي وجمـالي، ونهائي ونوري، وعلـوّي وارتفاع مـكاني لا يؤثر عبد هواي على هوى نفسـه إلاّ جعلت همّه فـي آخرته، وغناه فـي قلبـه، واستحفظته ملائكتي، وكفلـت السموات والأرضون رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدّنيا وهي راغمة، ولا يؤثر عبد هواه على هـواي إلاّ شتّت أمره، ولبست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم آته منها إلاّ ما قدّرت له.

وقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه، يحضره في كل وقت يحسن فيه ويتّقي، ويغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيـه ويعتدي، فهي معه تهتزّ سروراً عنـد إحسانه، وتسيح في الثرى عنـد إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم، تزدادوا يقينـاً، وتربحوا نفيساً ثمينـاً، رحم الله أمراً همّ بخير فعمله، أو همّ بشّـر فارتدع عنه، ثم قال: نحن نزيد الـروح بالطاعة لله والعمل له، وقـال الإمام الصـادق عليه السلام: اقصر نفسك عمّـا يضرّها من قبل أن تفارقـك، واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك، فإنّ نفسك رهينة بعملـك، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: من أصلح ما بينه وبين الله أصلـح الله بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله دنياه، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «**الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صـبر على المكاره في الدّنيا دخل الجنـة، وجهنّم محفوفة باللّذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار**».

وقـال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**طوبى لمن تـرك شهـوة حاضرة لموعد لم يره**».

وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**تـرك الخطيئة أيسر من طلب التوبة وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً**».

بيان عجز الإنسان من حيث هو وعلو شأنه من حيث ارتباطه بالمبدأ الأعلى وتعلقه به

اعلم أن النفس هي جملة الفعاليات (الأفعال) التي تنشأ في البدن نتيجة حلول الروح فيه فإذا فارقت الروح البدن وقف عمل النفس واستوفى الله مدتها. هذه النفس لها:

أ- حقيقة من جهة نفسك وذاتك وإلى هذه الجهة غالب نظرك وملاحظتك وأنت من هذه الجهة فانٍ مضمحل زائل لا قدر لك ولا قيمة لك بل لست شيئاً مذكوراً.

ب- حقيقة جهة ربك حيث أنك متعلق القدرة الإلهية ومظهر العظمة الربانية وبهذه الجهة صرت مرتبطاً بكل العالم من العرش إلى الثرى، ومن السماء السابعة العليا إلى الأرض السابعة السفلى فضلاً عما بين المشرق والمغرب وجميع من في أقطار الأرض، فإن أنت فعلت بنفسك خيراً أثرت في جميع العالم خيراً وبالعكس فإن أشكل عليك ذلك فإنّ لك مثالاً تحت العرش يعمل مثل ما تعمل، فإن عملت قبيحاً ألقى الله على مثالك ستراً وغطاه لئلا تفتضح عند أهل العرش، وإن عملت حسناً أظهره الله لهم وهو معنى قوله في دعاء أهل البيت المعمور: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح» أما الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**ما من مؤمن إلاّ وله مثال في العرش فإذا اشتغل بالركوع والسجود ونحوهما فعل مثاله مثل فعله فعند ذلك تراه الملائكة فيصلّون ويستغفرون له، وإذا اشتغل العبد بمعصية أرخى الله على مثاله ستراً لئلا تطلع الملائكة عليها**».

كذلك لا شك أن أعمالك كل يوم وكل صباح وكل مساء تعرض على النبي صلى الله عليه وآله ثم على الأئمة عليهم السلام واحد بعد واحد على ترتب مراتبهم وينتهي إلى الزهراء عليها السلام كذلك في النزول بلا تفاوت وذلك ما رواه زرارة قال:

(سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول لولا أنّا نزداد لأنفذنا، قال: قلت تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال: أما إنه وإذا كان ذلك عُرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر إلينا)[1].

فما كان منها حسناً سرّهم حتى قال أحدهم: والله لرسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ بالحاجة يقضيها المؤمن لأخيه من صاحب الحاجة، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته أقطاب العالم وأركانه والعالم كله، فمن أدخل السرور على سلطان العالم فقد أثّر في الرعية كلها سروراً، تبعاً لسرور الملك والسلطان فيضجّ العالم بالدعاء لهذا العبد المحسن سرّك الله كما سررتنا.

وإن أساء النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته تجف الأشجار وتفسد الثمار، وتقل الأمطار وتغلي الأسعار، فانظر أخي القارئ كيف يكون تأثير طاعتك ومعصيتك في كل العالم، فضلاً عن خصوص الملائكة الموكلين بك وفضلاً من تأثير الطاعة والمعصية في الأعقاب وفي أعقاب الأعقاب، ومن دخول النفع لكل المؤمنين ممن مضى وممن بقى وممن يقول:

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات حتى ورد أن جميع المؤمنين

(١) الكافي: ج١، ص٢٥٥.

والمؤمنات يشفعون لمن يقول ذلك ويقولون: هذا الذي كان يستغفر لنا، كما وارد أنّ العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحار.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[1].

فانظر أيها الإنسان كيف تأثيرك في كل العالم من الجهة من ربك وكونك متعلق القدرة الإلهية ومظهر العظمة فكيف يسوغ ذلك الالتفاف إلى جهة نفسك التي لست بها شيئاً مذكوراً، ولقد صدق أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول:

دواؤك فيك ولا تبصر ... وداؤك منك ولا تشعر

أتحسب أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بآياته يظهر المضمر

احذر أن تكون شيطاناً في صورة إنسان، واعلم أنك إن اخترت لنفسك ذلك قد أضعت توجّه العناية الإلهية إليك، وأفسدت العالم كله بفسادك، وكدّرت قلوب الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وجميع أهل السموات والأرضين وضجت الأرض إلى الله من مشيك عليها والسماء من استظلالك بها، لأنك بارزت الله وجميع من هو ملك لله تعالى أعداء لك فأين تذهب عن ملكه؟! ومن يؤويك وقد بارزته وحاربته، فلا مقرّ لك منه إلاّ إليه ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[2].

(١) سورة غافر/ آية ٧.
(٢) سورة الذاريات/ آية ٥٠.

كل مـن خاف من أحـد هرب منه إلاّ الخائف مـن الله فإنه يهرب إليـه، فإن أنت هربـت إليه عز وجل فاستمع إليـه «**لاأطلع على قلب عَبد، فأعلم فيه حب الإخلاص لطاعتي، وابتغاء وجهي، إلا توليت تقويمه وسياسته**».

وعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الله عز وجل قال: «**إذا علمت أن الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو حلت بينه وبين أن يسهو أولئك أوليائي حقاً أولئك الأبطال حقاً أولئك الذين إذا أردت أن أهلك أهل الأرض بعقوبة زويتها عنهم من أجل أولئك الأبطال**».

انظر كيف الله يرفع العقوبة والهلكة عن أهل الأرض بوجود أولئك الأولياء بنفس وجودهم صدقه في العالم.

الخلاصـة: هذا العالم مرتبط بعضه ببعض وهو بمنزلة الشخص الواحـد إذا دخل ألم في عضـو من أعضائه سرى إلى الكل فإذا نزل ذلك الألم عن ذلك العضو فقد أراح الكل من ذلك الألم.

وقـد ورد في الحديث: «**أن العبـد إذا حمد الله شمله ذلك الدعاء من كل المصلّين لأن المصلين يقولون: سمع الله لمن حمده**».

فانظر إلى العبد كيـف ارتبط بكل المصلين في العالم ودخل تحت دعائهم بكلمة واحدة.

كذلك من عمل عمـلاً باتقان دخل تحت دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**رحم الله من عمل عملاً فاتقنه**» فباتقان العمل يُدخل العبد تحت دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالرحمة.

ومـن كان يصوم يومـاً من شعبان مثلاً فيدخـل تحت دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بقوله: شعبان شهري رحم الله من أعانني على شهري.

فقد وضع الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم أدعية شريفة لأهل عناوين عامة، فمن شـاء أدخل نفسه تحت عنوان من تلك العناوين الشريفة التـي هيأت لك لأن تدخل نفسك فيهـا ويدعو العالم كله بالدعاء لك أم بغفلتك وتغافلك تريد أن تدخل نفسك تحت عناوين خبيثة، يتوجّه إليك العالم كله بالدعاء عليك؟

شأنـك عظيم وخطـرك جسيم وأنت بين حالتـين في كل أطوارك وأحوالك إما أن تُقبل على الله، أو تعرض عنه.

فـإن أقبلت عليه أقبـل هو عليك، وإن أعرضـت عنه أعرض عنك وأعرض لإعراضه عنك كل شيء.

لهذا إمامنا السجاد عَلَيْهِ السَّلَام يقول لأهله بعد أن سقط ولدها في البئر والإمام عَلَيْهِ السَّلَام مقبل على صلاته:

«**لـو ملـتُ بوجهي عنـه لمال بوجهه عني، فمن تريـن أرحم بعبده منـه؟**» وهذه حقيقة واضحة عند الخواص وهي أن الإعراض الإلهي أشد إيلاماً للعبد من عقوبة البدن.

لا يكمل إيمان المؤمن حتى تكون فيه ثلاث خصال

يراد منك أيها المؤمن أن تكون مقتدياً بسنة من ربك عز وجل، ثم بسنة من نبيّك صلى الله عليه وآله وسلم ثم بسنة من إمامك.

قال الإمام الرضا عليه السلام أنه: «**لا يكون المؤمن مؤمناً حتى تكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه، وسنة من نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، وسنة من وليّه**».

١- أما السنة من ربه:

فكتمان سرّه قوله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[١].

٢- أما السنة من نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم:

فمداراة الناس، فإن الله عز وجل أمر نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بمداراة الناس فقال: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾[٢].

٣- وأما السنة من وليّه:

فالصبر في البأساء والضراء.

فمن أراد الاقتداء بصفة ربّه التي يمتدح بها، لا شك أنّه معدّ لمقام عظيم وخطب جسيم، وذلك أن الله يريد أن يمكنّك داره التي اختارها واجتباها لأوليائه وأصفيائه وأحبائه، وهي الجنة، فلا بُدّ

(١) سورة الجن/ آية ٢٦.
(٢) سورة الأعراف/ آية ١٩٩.

أن يرشـدك إلى الصفات التي تشبه بسـكان تلك الدار حتى تحصل المناسبة بينك وبين الدار وبين سكانها.

أمـا الـدار فهي طيبـة طاهرة علـى أكمل مـا يكون مـن الصفاء والنورانية.

أما أهلها فهم الأنبياء والمرسلون والشهداء والصدّيقون.

فتأبـى حكمة الحكيـم أن يرضى بكونك بتلك الـدار غريباً أجنبياً عنها وعن أهلها بحيث يكون وضعك في ذلك المكان وضع الشيء في غير محله اللائق به.

وهـو سبحانـه برأفتـه ورحمته لـك لا يرضى لك إلا ذلـك المكان الطيـب الطاهـر، فاقتضى ذلك شدة العناية الإلهيـة بإرشادك إلى أعلـى الصفات وأكملها وأبهاهـا فلم يرض منك إلا بأن تكون مقتدياً فـي الصفات التي بشرفها ورفعتها وجلالتها قد نسبها إليه عز وجل وأثنى بها على نفسه، فمن يكون متصفاً بالصفات المنسوبة إليه يليق بـه أن يسكن في الدار المنسوبة إليه، ولمـا كان جيرانه في تلك الدار أولياء الله، ألزمه بأنه يتصف بصفاتهم.

فعندمـا يخاطـب البـاري سبحانـه نفسـه، التي طابـت وطهرت بالاتصـاف بتلك الصفات الطيّبـة الطاهرة بقوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

(١) سورة الفجر/ آية ٧٢.

تلك الصفات كثيرة إلا أنّ الإمام عليه السلام اختار منها ثلاثة للاهتمام بشأن هذه الثلاثة حتى وصف الإيمان معلّقاً عليها.

الأولى: كونه كاتماً لسره، وذلك أن أغلب الخلق غالبٌ فيهم النقص وعدم الكمال، ولكنّ صفات الكمال معلومة الحسن والجمال والشرفية بحيث أنهم يتمنونها لأنفسهم ولكن لمخالفتها لهوى النفس الأمّارة، وضعت همتهم لمجاهدتها يتقاعدون عنها.

فإذا رأوا من له همّة الاتصاف بها يخافون أن يتصف بها فيفوقهم في ذلك والنفس لا ترضى بالانحطاط عن الأقران بل تريد التفوق عليهم طبعاً، فما دام يمكنهم يسعون كلّ السعي في منعه من ذلك بالأفعال والأقوال وبكل حيلة، علماً الشخص الواحد لا قابلية له على مقاومة من لا يحصى عددهم، فلم يجعل الشارع للمؤمن طريق خلاص من ذلك إلا بكتم سرّه وهو عدم إظهار ما هو بانٍ عليه، فحينئذٍ يُكفى من شرّ الخلق ولا ينقطع عليه الطريق.

فلما علم أهل البيت عليهم السلام الأطباء الماهرون والحكماء المشفقون أنّ نفس هذا المؤمن الأمارة بالسوء أيضاً هي من جملة أعدائه وهي من جنس هؤلاء القطاع للطريق رغّبوا المؤمن هذا الترغيب العظيم في كتم السرّ، والإنسان بعد أن يكون الغالب عليه حبّ الكتم وكراهة الإفشاء، ينظر بعين العقل حين وجد مقاماً للإظهار أظهر بمقدار الضرورة، متحرّياً في ذلك امتثال أمرهم عليهم السلام بقولهم: لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم.

علماً أن صفة كتم السرّ تشتمل على أمرين:

أحدهما: كون المؤمن ذا سرّ،

الثانية: أن تكون له ملكة الإخفاء والكتم بحيث لا تغلبه نفسه على الإفشاء والإذاعة، لأن في الإظهار إفساد ومنافاة للحكمة وأنت كن مقتدياً بربك في مراعاة الحكمة واجتناب ما فيه الفساد فإنّ مقصدها فاسدٌ، وقد قال مولانا علي بن الحسين عليه السلام للزهري:

«وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، فليس كل ما أسمعته نكراً، أمكنك أن توسعه عذراً».

هذا الكلام كله في الثاني أما الكلام في الأول فيكفي فيه ما قاله الصادق عليه السلام يوماً للمفضل بن صالح:

يا مفضل! إن لله عباداً عاملوه بخالص من سرّه، فعاملهم بخالص من برّه، فهم الذين تمرّ صحائفهم يوم القيامة فرغاً، فإذا وقفوا بين يديه ملأها من سرّ ما أسرّوا إليه.

فقال المفضل: يا مولاي، ولم ذلك؟

فقال: أجلّهم أن تطّلع الحفظة على مابينه وبينهم.

وقد أجاد القائل عندما قال:

قلوب العارفين لها عيون ... ترى ما لا يراه الناظرونا

وألسنةٌ بأسرارٍ تناجي ... تغيب عن الكرام الكاتبينا

وأفئدةٌ تطير بلا جناح ... إلى ملكوت رب العالمينا

ثانياً: مداراة[1] الناس:

وهـي السنّة عن النبي صلى الله عليه وآله وقد قدّمنا لك عن علي عليه السلام: أنّ أحب الخلق إلى الله من تأسّر بنبيه، كما إن حكمتها كحكمة كتمان السرّ، بل كتمان السرّ نوع من أنواع مداراة الناس.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض، وعنه عن جدّه أيضـاً قال: مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم يضف العيش. ثم قال الصادق عليه السلام: «**خالطوا الأبرار سرّاً وخالطوا الفجّار جهاراً ولا تميلوا عليهم فيظلموكم فإنه سيأتي عليكم زمانٌ لا ينجو فيه من ذوي الدين إلا من ظنّوا أنه أبله، وصبّر نفسه على أن يُقال أنه أبلهٌ لا عقل له**».

وعنـه أيضاً عن جـده صلى الله عليه وآله: «**ثلاثـة من لم تـك فيه لم يتم له عمل: ورعٌ يحجزه عن معاصي الله، وخلقٌ يداري به الناس، وحلمٌ يردّ به جهل الجاهل**».

وفـي الحديث عن الصادق عليه السلام: «**من كفّ يده عن الناس، فإنما يكفّ عنهم يداً واحدة، ويكفّون عنه أيدٍ كثيرة**».

أمـا ما يصدر مـن بعض من يدّعـي الصلاح والتقـوى من أني لا أبـالي بالناس ولست محتاجاً، ومن يكـون الناس؟ إلى غير ذلك من الكلمات التي تصدرمنهم في مقام عدم المداراة كلّه، من اتّباع هوى

(١) مداراة الناس: هو الاهتمام بالناس وحسن معاملتهم وتحمّل أذاهم والاختلاط بهم وزيارتهم ومداراتهم والسؤال عن أحوالهم ونشر الألفة والمحبة بينهم.

النفس، والجهل بطريقة أهل البيت عليهم السلام وكثير من الجهال يشتبه عليه مقام المداراة للناس في مقام المداهنة، فيتخّيل أنّ مداراة للناس المأمور بها المداهنة.

والفرق واضح، فإنّ المداهنة المذمومة هي الموافقة على تحسين القبيح أو ترك إنكاره رغبة وطمعاً فيما عندهم، ليتوسل إلى منافعهم الدنيوية أو يجلب قلوبهم إليه من دون ملاحظة دفع مفسدة.

ومما يدّل على حسن الرفق والمداراة الرواية المشهورة للشامي الذي تكلّم بما لا يليق مع الإمام علي بن الحسين عليه السلام لما حملوه إلى يزيد لعنه الله في الشام فقال الشامي: الحمد لله الذي قتلكم وأكذب أحدوثتكم وأراح الناس منكم.

فلما فرغ من كلامه قال له الإمام عليه السلام: يا شيخ! أتقرأ القرآن؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: هل قرأت قوله ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1]؟

قال: نعم.

ثم قال عليه السلام: هل قرأت قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾[2]؟

قال: نعم.

(١) سورة الشورى/ آية ٢٣.
(٢) سورة الأحزاب/ ٣٢.

ثم قال عليه السلام: يا شيخ، هل قرأت قوله تعالى ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾[1]؟

قال: نعم.

قال الإمام عليه السلام: نحن القربى، ونحن أهل بيت نبيك.

قال: فرفع الشيخ كفّه إلى السماء وبكى وتبرأ من قاتل الحسين عليه السلام وبكى وتاب.

فانظر كيف جرّه إلى الخير.

والمداراة ترك الإنكار دفعاً للمفسدة أو لأجل تخفيفها أو تحرّزاً عن تهييجها. والمداراة قد تكون لدفع الشرّ ممن تداريه، وقد تكون لاستجلابه إلى الخير، وأما للخوف أو لعدم التأثير فحينئذ الرفق والبشاشة وتحمّل الأذى، والدفع بالتي هي أحسن هي المداراة قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[2].

ومنها قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله بينا هو ذات

(١) سورة الإسراء/ ٢٦.
(٢) سورة فصلت/ آية ٣٤-٣٥.
(٣) سورة طه/ آية ٤٤.

يوم عند عائشة، إذ استأذن عليه رجل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بئس أخو العشيرة!

فقامت عائشة فدخلت البيت، وأذن رسول الله للرجل، فلما دخل أقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوجهه الشريف وبشره، وأقبل يحدّثه حتى إذا فرغ وخرج من عنده قالت عائشة: يا رسول الله، بينا أنت تذكر هذا الرجل فيما ذكرته به، إذ أقبلت عليه بوجهك وبشرك؟!

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ من شرّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه.

فهذا كله من المداراة التي هي نوع من التقية، وقد ورد في مدح التقية ما لا يُحصى حتى فسّر قوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

بأن المعنى: أعدلكم في التقية، وحتى قالوا أنّ تسعة أعشار الدين في التقية.

ثالثاً: الصبر في البأساء والضراء:

نعم إن الدنيا سجن المؤمن فأي سجن جاء منه خير، ولقد قال الصادق عليه السلام لرجل اشتكى عنده الحاجة، فقال له: اصبر سيجعل الله لك فرجاً ثم سكت ساعة ثم التفت إليه فقال: أخبرني عن سجن الكوفة كيف هو؟

فقال: ضيق منتنٌ وأهله بأسوء حال.

(١) سورة الحجرات/ آية ١٣.

قال عليه السلام: فإنما أنت في السجن، فتريد أن تكون فيه في سعة، أما علمت أن الدنيا سجن المؤمن.

فالمؤمن إما أن يكون من أهل الشوق إلى الآخرة، فيكون أصل بقائه في الدنيا سجناً له، فضلاً عمّا يعرض له من البلاء.

وإما أن يكون ممن يخشى عليه الميل إلى هذه الدنيا والرغبة لما فيها، فتأتي رأفة الحكيم فتزعجه منها بأنواع الابتلاء حتى يتنفر منها ولا يركن إليها فإنها دار الظالمين.

وإما أن يكون ضعيف العمل، قليل الطاعات، فتأتي رأفة الحكيم الرحيم أن لا يحرمه ثواب الابتلاء بالمصائب، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «لو علم المؤمن ما له من الأجر في المصائب، لتمنى أنه قُرّض بالمقاريض».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد**»، وفي مكان آخر يقول عليه السلام: «**إنه ليكون للعبد منزلة عند الله عز وجل، فما ينالها إلا بإحدى خصلتين: إما بذهاب ماله أو ببلية في جسده**»، فالابتلاء إما يكون للمؤمن مثوبة ورفع درجة أو عقوبة وكفارة، وكلاهما حسنٌ محبوب عند العاقل.

أما الثواب فواضحٌ، وأما العقاب فلما اشتملت عليه أخبار أهل البيت عليهم السلام من أن الله أكرم من أن يجمع على عبده المؤمن عقوبتين، فكل شيء عاقبه عليه في الدنيا فلا يعاقبه عليه في الآخرة.

فإذا كان لا بُد للمؤمن من الابتلاء فلا بدّ له من الصبر، وقد خلق

اللّه الصبر قبل أن يخلق البلاء، ولولا ذلك لتفطّر قلب المؤمن كما تتفطّر البيضة على الصفا.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية.

أ- فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب اللّه له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض.

ب- ومن صبر على الطاعة، كتب اللّه له سبحانه ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض.

جـ- ومن صبر عن المعصية: كتب اللّه له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّا صبّرٌ وشيعتنا أصبر منّا**».

قيل له: جعلت فداك! كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟

قاللّه: لأنا نصبر على ما نعلم، وهم يصبرون على ما لا يعلمون.

انظر إلى رأفتهم! كيف شكر لشيعتهم ما يقع منهم من الصبر القليل على المصائب الجزئية بالنسبة إلى مصائبهم.

يريدون أن يلحقوا بهم شيعتهم، كي لا ينقطعوا عنهم فيهلكوا ويضمحلوا فإنهم علموا أن لا نجاة لشيعتهم إلا بأن يحسبوهم منهم، ويجعلوا أنفسهم مع شيعتهم صفة واحدة، فحينئذ لا يمكن ردّ الجميع فلا بدّ من قبول الجميع كما قال أمير المؤمنين عليه السلام من أنّه: «**من تشبّه بقومٍ أوشك أن يكون منهم**».

ثـم يتمّون ذلـك بالشفاعة والدعاء، كما هـو في دعاء الحجة ابن الحسن (عج) يدعو به لشيعتهم:

«اللهـم إنّ شيعتنـا منّا، خُلقوا مـن فاضل طينتنـا، وعجنوا بنور ولايتنـا، فولّنـا أمورهـم، واغفـر لهم مـا فعلوه من ذنوبهـم، اتكالاً على محبتنا، وإن خفّت موازينهم، فثقلها بفاضل حسناتنا».

تأمـل فـي عمـق الرابطـة العاطفية بين صاحـب الأمر عليه السلام وبين رعيتـه الذين يحشـرون تحت لوائه يوم القيامـة، ولا عجب في ذلك فـإن الإمـام متخلـق بأخـلاق الله تعالى فـي أقصى درجـة تحتمله القابليـة البشرية، ومن المعلوم أن صاحب الأمر عليه السلام غير غافل عما يجري على أمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لأنه المهتم بحوادث هذا العصـر بكل مراراتهـا، كما كان جـده أمير المؤمنـين عليه السلام متألماً لما يجري في اليمامة أو الحجاز من بطون عرش وأكباد حرّى.

مـن هنا لـزم على المحب الصـادق أن لا يزيده همـاً إلى همه، بل يسعـى للتخفيـف عن همومـه بالعمل بمـا يوجب رضـاه، من تفريج الكـروب عن مواليه والمبالغة في الدعاء لـه بالفرج، إذ لا فرج لعامة الخلق إلا بظهوره عليه السلام.

● **من قصص الصبر:**

قـال أحد الحكماء خرجت في سفر فإذا أنا بمظلّة وفيها رجل قد ذهبت عيناه واسترسلت يداه ورجلاه وهو يقول: الحمد لسيّدي ومولاي اللهـم إني أحمدك حمـداً يوافي محامد خلقـك كفضلك على سائر خلقك إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً، فسأله الحكيم بعد أن سلّم عليه فقال: رحمك الله على أيّ فضيلة من فضائله تشكره؟

فقال: أوليس ترى ما قد صنع بي؟

فقال الحكيم: بلى.

قال: والله لو أن الله أصبّ عليّ ناراً تحرقني وأمر الجبال فدمرتني وأمر البحار فأغرقني وأمر الأرض فخسفت بي ما ازددت فيه سبحانه إلاّ حبّاً، ولا ازددت له إلا شكراً، ثم طلب الرجل من الحكيم خدمة بأن يبحث عن ولده الذي فقده منذ الأمس، فقد كان يعاهد والده في أوقات الصلاة ويطعمه، وعندما ذهب الحكيم ليبحث عنه بين كثبان الرمال وإذا رأى سبع قد افترس الغلام وهو يأكله، فرجع مسرعاً لوالده ولم يخبره عن المصيبة بل سأله وقال: أنت أكرم على الله وأقرب منزلة أو نبي الله أيوب عليه السلام؟

فقال: بل أيوب أكرم على الله مني وأعظم عند الله منزلة مني.

فقال الحكيم: إنه ابتلاه الله فصبر، اعلم إنّ ابنك الذي سألتني أن أطلبه لك افترسه السبع فأعظم الله أجرك.

فقال: الحمد لله الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا ثم شهق شهقة وسقط على الأرض ميتّاً، وبعد لحظات فإذا بركب يريدون الرّباط فأشار إليهم فأقبلوا نحوه وساعدوه في تغسيله وتكفينه ودفنه في مظلّته ثم جلس عند قبره يقرأ القرآن إلى أن مضى من الليل ساعات فغفى غفوة فرأى صاحبه في أحسن صورة في روضة خضراء عليه ثياب خضر قائماً يتلو القرآن، فسأله: ما الذي صيّرك إلى ما أرى؟ فقال العبد الصالح: اعلم إنني وردت مع الصابرين لله لم ينالوها إلاّ بالصبر والشكر عند الرخاء.

من أين لنا أن نأخذ بالأخلاق الإنسانية؟

إن المكانة الإنسانية الجميلة المحيرة التي اخترعها إله العالمين وجعلها مراتاً لجماله وإنموذجاً لجلاله ومثالاً لقدرته وعظمته لها الآلات دقيقة وذرات لطيفة لا يمكن لأحد الإلمام بسرها سوى المخترع العظيم الجبار.

وإن جلالة الحكيم المبدع اهتم بالهيكل البشري، وعطفاً ورحمة منه بعث مجموعة من الموجودات البارزة التي تلقت علومها من بارئها في الكلية الأزلية، إلى تعليم وهداية بني آدم، وصولاً إلى الكمال المطلوب، لتتلاحم مع وجودها وتتعرف عليه، ولتأمين السعادة التامة على الدوام (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) فتلك الموجودات المقدسة والذوات الغالية الثمينة جاءت بانتظام ونسق خاص ووطأت أقدامها أرض المجتمع الإنساني، بعالم قائم من التضحية والنشاطات فأنجزت الوظائف الكبيرة لرسالة النبوة ودعت الناس إلى المقامات السامية بصورة تدريجية.

وفي الختام، فإن سيد الأنبياء والمرسلين واستاذ الخلائق أجمعين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ألقى بالعلم النهائي للتوحيد ومعرفة النفس بلهجة بالغة الفصاحة بين بني الإنسان ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

(١) سورة الجمعة/ آية ٢.

فتلـك التعاليم الإلهية والعبـادات الربانية التي هـي الدرس الدقيق للإنسانيـة والهـدف المقدس للبشرية، ومجمـع التلاحمـات الروحية والجسميـة المادية والمعنوية الظاهـر منها والباطن، الغيبـي والمشهور، المندرجة في وجـود هذا النوع الشريف، باسم (القرآن) من أجل إزالة كابوس الحاجة، لتكون الذكرى الخيرة إلى يوم القيامة، وإن التحقيقات العلمية والفنية في هذا العصر والتجارب الدقيقة للتاريخ اثبتت بصورة مضيئة للعالم جدارة التعاليم المحمدية وأحكام فرقانه لخير المجتمعات البشريـة في كل مكان وزمـان أنه لا قوى مربِ من أجل السمو والوصول إلى الكمال، وإنه الأقرب والأسهل، وأنه الطريق الأمين.

كان العـرب بصورة عامة قبـل الإسلام لا يملكـون أي من وسائل الهيمنـة والسياسة وكانت الصفات السيئة الطابع المميز لهم، وكانوا يتخبطون في محيط من الفقر والاستكانة والجهل والأمية والتوحش وعدم الإيمـان، وأن الجور والقسوة هما الأسلـوب الذي يعاملون من دونهم، وكانوا لا يملكون من العلم والثروة شيئاً، فلا مهارات فنية ولا خـبرات أو تجارب فـي السيادة والشؤون الاجتماعيـة بل كانوا دائماً يطرقون أبواب ملوك اليمن والشام طلبا للعون، وكانت سجية الطبقة البـارزة منهم فـي تأمين العيش هـو التملق والسرقـة ونظم الشعر، فبالرغـم من مـرور قرون طويلة لم يحصل أي اندفـاع أو حركة نحو الكمال، ولكن خاتم الأنبياء وسيدهم أبا القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم هـو ذلـك الإنسان الذي بعث تلـك الروح في أجسـاد أولئك الأموات فأيقظهـم مـن نومتهم السحيقـة، ونفخ في أمـوات عصر الجاهلية روح الحياة، بل أن من نفحات تلك الروح المشعة شيدت دنيا البشرية

تحت أجنحة ذلك الشعاع، وقد فتحت بقدرة غير محدودة، في جميع أنحاء الشرق والغرب جامعات العلم والمعرفة ويقرأ على كافة أقوام البشر الشرقية والغربية الهندية والصينية كتاب الإنسانية ويعلمهم الدروس السماوية، انظر إلى هذا الكتاب المقدس وهو القرآن فهو تذكار للروح الكبيرة ونموذج لعظمة الذات السامية وإحاطة ليس لها حدود ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم**﴾.

عندما نطق النبي العظيم الشأن بالقرآن الكريم سطعت كلماته من شفتين كالشمس وأضاءت سماء العصر الجاهلية المظلمة بأشعتها، فقهر أبطال الفصاحة والبلاغة حيث أنهم قد اعترفوا بالعجز أمامها.

الحقيقة أن القرآن الكريم كان الروح الأقوى حيث هبط من عالم الأمر وكان ألمع النجوم التي ظهرت في سماء وجود العقل الكلي المقدس ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾ وبناء على هذا فإن أغلب جوانب جبروته إذ قهر صناديد العرب وحكم على قواهم الطبيعية بالفناء وإن ذلك الكلام المحير للعقول، دفع أولئك المندهشين إلى اتهام النبي بالشعوذة والسحر.

هذا الكتاب الصامت (القرآن الكريم) لم يتسنى لأي مخلوق منهم واستيعابه إلاّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فهو المظهر اللامع للعلوم السماوية والمعارف الربانية والينبوع الزاخر للأخلاق الروحانية أنه شريك القرآن ومبين دقائق الفرقان، وهو العالم الأعظم بين بني الإنسان بعد ابن عمه العظيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث ألمّ بجميع دقائق الكتاب الظاهر والباطن، فالتفسير والتأويل المحكم والمتشابه الناسخ والمنسوخ كل ذلك كان رهن علمه وإحاطة الواسعين.

قوله تعالى ﴿**وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**﴾.

وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في أواخر أيام حياته عدة مرات أمام جموع المسلمين «**إني تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي**».

وفي حرب صفين حين غُلب أهل الشام على أمرهم من ضربات عسكر الإمام القاضية وبدافع من دهاء عمرو بن العاص رفعت المصاحف على رؤوس الرماح، ودعي تحت ستار من تلك الحيلة أهل الكوفة إلى التحكيم انطلق الإمام علي عليه السلام ليعلن بين الملأ كون هذه المصاحف كتب صامتة، وأن القرآن الناطق الوحيد هو أنا وعليكم أن تأخذوا بحكم الله ورسوله صادر عن لساني ومن خلال ومواقفي وأعمالي تتعلمون أحكام الشريعة والدين.

ففي أصول وفروع كل حكم أو خبر بصورة عامة، وفي التفسير والتأويل للقرآن الكريم، في كل تلك الأمور أن لم يكن المرجع هو الخليفة المباشر لخاتم النبيين تبرز عوامل الشكوك، وإن كل علم في أحكام الشريعة لم يستند ولم يعتمد على علي وأولاده المعصومين مردود ولا ريب.

ومن هنا فإن آل علي عليهم السلام وهم آل محمد وعترته الطاهرة متمسكون في جميع المقامات المذكورة بأحكام الإمام علي، وإنّ كل واحد منهم بصورة منفردة، شريك للقرآن والإمام الوحيد في عصره الناطق في المسلمين.

وبناء على هذا فإن أية جهة تلجأ إلى رد أو معارضة أئمة الجعفرية تكون قد عمدت إلى رد ومعارضة الله ورسوله والقرآن المجيد.

تأويل قوله تعالى:
﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[1]

لـو دققنا النظر إلى الفقرة الثانية ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ نجد إن ﴿مَا﴾ موصولـة ﴿فِي نَفۡسِكَ﴾ ظرف لـه والظرف غير المظروف بالبداهـة، فإن كان المراد من تلـك النفس ذات اللّه القديمة يلزم أن يكون ظرفاً، والمظـروف إن كان قديماً تعدد القدماء، وإن كان حادثاً صـار القديم محـلاً للحـوادث، وكلاهما باطـلان، وأيضـاً الظرف والمظروفية من صفات الحدوث والقديم أجل من ذلك وتعالى شأنه.

وأمـا الفقرة الأولى أي قوله ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ فليس لأحد فيه إشكال ولا هي محل سؤال إذ ما في نفس عيسى مخلوق كنفس عيسى، ولا يستشكل ذو مسكة في إحاطة علمه تعالى بمخلوقه، وأنه لا يعزب عـن علمه شيء فـي الأرض ولا في السماء، كما هو صريح الآية قوله تعـالى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾ وقولـه تعـالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ أي كلا الاحتمالين، من كون الموصول هـو لفظ (من) فاعلاً ليعلـم أو مفعولاً له والعائـد محذوف، أي من خلقـه، فيكون ما في النفس وما فـي الصدور مخلوقاً له تعالى، وإلا مـا تم التعليل بقوله: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ وكان منفصلاً عما قبله، بل كان لغواً وغير صحيح.

(١) سورة المائدة/ آية ١١٦.

وهـذا ظاهـر لا غبار عليـه وإن وقع الخلاف بين الحكمـاء في أن علمه بالأشياء ذاتي أو إشراقي أو غير ذلك.

والحـق أن علمه إشراقـي كما حقق في محل وليـس المقام موضع التفصيل فالسـؤال إنما هو عن الفقرة الثانية وهي قوله ﴿ **وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ** ﴾ وقـد تقدم وجه السؤال والاشـكال، ومجمله أن ما في النفس غير ذات النفس ضرورة، فهل ما في النفس قديم؟ إذن ليتعدد القدمـاء، أو حادث؟ إذن ليكون القديم محـلاً للحوادث، وبطلانهما واضح ولا ثالث في البين، والجواب من أحد وجهين، ظاهر وباطن.

أما الأول:

فبـأن عيسـى إنما عـبّر بقولـه ﴿ **وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ** ﴾ من باب التنظـير والمشاكلة في التعبير مع قوله ﴿ **تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي** ﴾ المعدود مـن الاستحسانـات البديعية، فهـو تعبير قشري ومقابلـة في اللفظ فقط مـن غير قصد للظرف والمظروف، فإنه تعالى أجل وأقدس من أن يكـون ظرفاً للأشياء أو تحل فيه المعاني أو يكون له نفس أو روح أو قلـب ﴿**ليس كمثله شيء وهـو السيمع البصير**﴾ والمراد أنك محيط بي ولست بمحيط بك، أو تعلم سري وغيبي ولا أعلم سرك وغيبك، أو تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه.

ويشهـد بذلك ما رواه في الصافي عـن العياشي عن الباقر عليه السلام فـي تفسيرها: «إن الإسم الأكبر ثلاث وسبعون حرفاً فاحتجب الرب بحرف، فمن ثمة لا يعلم أحد ما في نفسه عز وجل، أعطى آدم اثنين وسبعين حرفاً فتوارثتها الأنبياء حتى صارت إلى عيسى عليه السلام فلذلك قول عيسى ﴿ **تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي** ﴾ يعني اثنين وسبعين حرفاً من الاسم

الأكبر، يقول أنت علمتنيها فأنت تعلمها ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ يقول لأنك احتجبت من خلقك بتلك الحرف فلا يعلم أحد ما في نفسك.

فكشف هذا الحديث عن معنى تلك، الفقرة بأنك تعلم ما أخفيه أنا وهو الاثنان والسبعون حرفاً، وقد أخفاه عن الخلق لا عن الله تعالى، ولا أعلم ما أخفيته أنت من تلك الحرف المحجوب بها، فليس هناك ظرف ومظروف إلا في التعبير والمقابلة لا غير.

وأما الثاني:

فهو أن يراد النفس النفس المخلوقة التي من عرفها لم يشق أبداً ومن جهلها ضل وغوى.

بيانه أن الله سبحانه لما خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، وكان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار، فخلق محمداً واله الأطهار عليهم السلام من نوره لصفاء زيتهم ونورانية قابليتهم، وسبق إجابتهم وجعلهم محال مشيئته وألسن إرادته واقامهم في الأداء مقامه، فصاروا بذلك مظاهر أفعاله ومصادر آثاره ومجالي صفاته الفعلية لقربهم إليه وتلاشي إنياتهم في جنبه واندكاك جبلتهم دونه، بحيث لم يبق لهم مشيئة وإرادة لذواتهم إلا مشيئته وإرادته ولا ميلان لطبعهم وحقيقتهم إلاّ إلى رضاء ومحبة بارئهم، وذلك لأنهم خلقوا باختيارهم على هيئة مشيئته وصبغوا بلون إرادته، فلا يظهر منهم إلا ما يشاء ولا يصدر منهم إلاّ ما يحب ولا يفقدهم فيما يحب ولا يجدهم فيما يكره أبداً،

فحكـوا صفاته وظهرت عنهـم أفعاله، فجعـل الله معرفتهم معرفته وإطاعتهم إطاعته ومحبتهـم محبته وغضبهم غضبه وأسفهم أسفه ورضاهـم رضاه وسخطهم سخطه «مـن عرفكم فقد عرف الله ومن جهلكم فقد جهل الله ومن أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم فقد عصـا الله ومن أحبكم فقد أحب الله ومـن أبغضكم فقد أبغض الله ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله».

فصـاروا بذلك وجه الله وآيته ووليـه ودليله وصراطه ويده ولسانه وأذنه وعينه وقلبه ونفسه، أي لشدة قربهم إلى بارئهم وكمال اتصالهم به في الأفعال نسبهم إلى نفسه وقال: هم يدي ولساني ووجهي وقلبي وأذني، كمـا قـال: الكعبة بيتي (وطهر بيتـي للطائفين) وعيسى روح الله وكلمة الله، ففي الزيـارة السابعة لأمير المؤمنين عليه السلام: «**السلام على وجه الله الذي من آمن به أمن، السلام على نفس الله القائمة فيـه بالسنن وعينـه التي من عرفها يطمئن، السـلام على أذن الله الواعيـة فـي الأمم ويـده الباسطـة بالنعم وجنبه الـذي من فرط فيه ندم**».

وهم سلام الله عليهم مع ذلك عبيد مخلوقون مربوبون فقراء إلى بارئهـم محتاجـون كل آن إلى مدده تعالى، لو انقطـع المدد عنهم آنا مـا لفنوا واضمحلوا، هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم، لا يملكـون لأنفسهم نفعاً ولا ضـراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا، والأفعال التـي تجري علـى أيديهم كلها أفعـال الله لا أفعالهم، فـلا ضير إذا قيـل لهم أعين الله وألسنة الله ووجوه الله وأيدي الله، ولا بدع ولا غلو إذا قيـل الإمـام قلـب الله أو نفس الله، أي قلب مخلـوق منسوب إلى

الله لشرافته، ونفس حادثة منسوبة إلى الله لعزتها، وإلا فذات الحق تعالى في عز ذاته منزهة عن هذه النسب وأجل من أن يكون لها قلب أو نفس أو روح أو غير ذلك.

إذا اتقنت ذلك فنقول في الآية الشريفة:

أنه لا يبعد أن يراد بالنفس في قوله ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ النفس الحادثة المخلوقة، لأن نفسه هي النفس الكلية الإلهية الملكوتية المحيطة التي لا يعلم ما فيها إلا خالقها، لا عيسى ولا موسى ولا غيرهما من سائر الخلق، عدا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونفس عيسى جزئية مخلوقة من شعاع تلك النفس الملكوتية، وهي تحتها ومحاطة بها وأثرها، وأنى للأثر والجزئي أن يصل إلى مقام المؤثر ويحيط بما في الكلي، هيهات ثم هيهات!! وإلا انقلب الأثر مؤثراً والشعاع شعلة والجزئي كلياً، وهو محال في الحكمة.

وإذا صح أن يراد بالنفس تلك النفس الحادثة المنسوبة إلى الله صار ما في النفس مشاكلاً ومماثلاً في الرتبة، أي صار المظروف من سنخ الظرف في الحدوث والإمكان وجرياً على حقيقتها من الظرفية، فلا يتأتى الإشكال المذكور في السؤال من لزوم تعدد القدماء، أو كون القديم محلاً للحادث، ولا نحتاج إلى تكلف أن هذا التعبير في هذه الفقرة من باب المشاكلة والمقابلة مع الفقرة الأولى، وأنه لا ظرف ولا مظروف واقعاً، وإنما هما تعبير وتنظير، فافهم وتبصر ولا تنكر ما لم تحط به خبراً.

شرح قول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام
«وفيك انطوى العالم الأكبر»

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الأبيات المنسوبة إليه:

دواؤك فيك وما تشعر ... وداؤك منك فلا تبصر

أتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر

الكتاب الجامع للكل هو الإنسان ولا سيما الكامل منه وهو الكتاب الصغير المستنسخ من الكتاب الكبير، فكل إنسان بل كل نفس من النفوس الحيوانية كتاب من كتب الله عز وجل فالإنسان من حيث روحه وعقله الإجمالي كتاب عقلي ومن حيث قلبه وعقله التفصيليين كتاب نفسي ومن حيث خياله كتاب المحو والإثبات وإلى هذا المعنى أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «دواؤك فيك ولا تبصر...الخ».

وروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بحكمته وهي مجموع صور العالمين وهي المختصر من اللوح المحفوظ وهي الشاهدة على كل غائب وهي الحجة على كل جاحد وهي الطريق المستقيم إلى خير وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار.

الإنسان بحيث التدرج في مدارج الكمال والسعادة أصنافاً فإنه إن

صدّق بالأنبياء والمرسلين فيما جاؤوا به من عند الله تعالى فهو مسلم والمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه والإسلام هو التسليم لأمر الله تعالى الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء.

ونعتقد بأن هذا الدين وهو دين الإسلام الحنيف الذي جاء به سيّد الأنبياء محمد ابن عبدالله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو أفضل الأديان السماوية فالإنسان إذا صدق الأنبياء والرسل فهو مسلم وإن صدّق وتولى أئمة الحق الذين نصبهم الله تعالى فهو مؤمن وإن اشتغل في أغلب أوقاته بالعبادة فهو عابد وقد جاء في الحديث القدسي:

يا بن آدم خلقتُ الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي (فأولئك مع النبيين والصديقين) والمراد من الصديقين والأخيار وأوليائهم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام واتباعهم الذين هم بروج الولاية وكواكب فلك الهداية أرواح الأولياء والسعداء أشعة وتجليات من شمس ولاية الأولياء وروحانية نور الله الشارق وكلامه الناطق سيد الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال ابن أبي الحديد المتعزلي شعراً يمدح فيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يا جوهر أقام الوجود به ... والناس بعدك كلهم عرضُ

صفاتك أسماء وذاتك جوهر ... بريءٌ المعاني عن صفات الجواهر

يجلُّ عن الأعراض والكيف والمنى ... ويكبرُ عن تشبيهه بالعناصر

وقد شرح الحاج ميرزا علي الحائري (قدس) البيت الثاني:

أتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

حيث قال توجد ثلاثة عوالم:

الأول: العـالم الكبير ويُعبّر عنه بالإنسان الكبير يطلق على العالم الدنيـوي بما فيـه من العرش والكرسي والسمـوات والأرضين إلى ما تحت الثرى.

الثـاني: العالم الوسيط ويُعبّر عنـه بالإنسان الوسيط، يطلق على المولود الفلسفي، وهو الكيمياء ومرآة الحكماء.

الثالـث: العالم الصغـير ويعبّر عنه بالإنسـان الصغير، وهو هذا البشر آدم وذريته.

وهـذه العـوالم الثلاثة كلها على وتـيرة واحدة ونسـق واحد، وفي كمـال المطابقة، بمعنـى أن كل ما في العالم الكبـير فهو موجود في العالمين الآخرين.

الآن فلنشرع في بعض التطبيق بين العالم الصغير والعالم الكبير، وما انطوى من العالم الأكبر في هذا الجرم الصغير:

إن فـي العـالم الكبير عرشاً وكرسيـاً وسبع الشـداد وأرضاً فهذه عشـرة من السمـاوات التسع والعاشرة الأرض علـى نظر أهل الهيئة من القدماء أو عشـر كرات وفي الإنسان هذا الجرم الصغير مثلها، أمـا العرشـ فهو قلبه أي عقلـه، كما أن العرش وهـو محدد الجهات ليس فوقـه جسم، كذلك قلبه ليس فوقه مـن مراتبه شيء، وكلاهما بسيطان بمعنى أن العرش ليس فيه من النجوم ولا واحد كذلك عقله فيـه معاني الأشيـاء الكليات ليس فيه من الصـور وأما الكرسي في العالم الكبير الذي هو محـل النجوم والثوابت والبروج والدوائر لدى

القدمـاء، ففـي الإنسـان صدره أي نفسه الناطقة التـي فيها الصور والنقوش وجميع ما يتصور فهو في صدره أي في نفسه الناطقة، فكما أن الكرسـي مستمـد من العرش فكذلك الصـدر مستمد من القلب، وكمـا أن الكرسي فيـه من النجوم والثوابت ما لا تحصى فكذلك في صدر الإنسان من الصور والأنواع والألوان والهيئات ما لا تحصى.

وأمـا السبع الشـداد فهي فلك زحـل وفلك المشـتري وفلك المريخ وفلـك الشمس وفلـك الزهـرة وفلـك العطـارد وفلك القمـر، وفي الإنسـان مثلها، أما فلك زحل ففي الإنسان تعقله الذي مقره الدماغ، وفلـك المشتري ففي الإنسان علمه الذي مقـره الصدر، وفلك المريخ ففي الإنسان وهمـه، وفلك الشمس ففي الإنسان وجوده الجسماني، وفلك الزهرة ففـي الإنسان خياله وفلك عطارد ففي الإنسان فكره، وفلـك القمر ففي الإنسان حياته، وكـره الأرض ففي الإنسان جسده فهـذه عشرة عـوالم في العالم الكبير الأفـلاك التسعة والأرض وفي الإنسـان هذه العشرة موجودة بآثارها بمعنى أنه لولا العرش ما وجد له قلب أي عقل زبداً، ولولا الكرسي ما وجد له صدر بوجه من الوجوه ولـولا زحل لما تعقل شيئاً أصلاً، ولولا المشتري لما علم شيئاً قط، ولولا الزهرة لما خلق له خيال أبداً، ولولا عطارد لما كان له فكر أصلاً، ولولا القمر لما وجدت له حياة، ولولا الأرض لما وجد له جسد، فمن كل عالم في الأكبر شيء وأثر في الأصغر، فهذه المراتب العشرة التي هي في الأصغر كل واحد منها مأخوذ من فلك من هذه الأفلاك المذكورة.

وهـذا معنى قـول الحكماء العارفين أن الإنسـان مخلوق من عشر قبضـات، مـن العرش قبضة ومـن الكرسي قبضة، وهكـذا إلى آخر مراتبه.

وكمـا أنه لولا الشمس لما وجدت حرارة فـي الأرض وأهل الأرض، ولولا القمر لما وجدت رطوبة في الأرض وأهل الأرض، فكذلك مراتب الإنسـان المذكورة في تكونها من العالم الكبـير من أفلاكه، لولا تلك الأفلاك والأرض لما وجدت تلك المراتب فيه.

وهذا الجسد الذي هو مخلوق من هذه الأرض فيه أيضاً كل ما في الأرض من الأشياء والعجائب.

مثلاً في هذه الأرض أشجار وأجسام وفي بدن الإنسان كذلك شعر بدنه وشعر رأسه، وفي الأرض عيون مختلفة وفي الإنسان أيضاً عيون مختلفـة، عين مالحة وهي دمعة عينه أي بصـره، وفيها عين متعفنة وفي الإنسان ماء خيشومـه، وعين مُرة وفي الإنسان ماء أذنه، وعين بلا طعـم فاتهة وهي في الإنسان ماء فمه وفـي الأرض أنهار جارية وشطوط وفي الإنسان دمه الجـاري في عروقه الكبيرة أي الضخمة والصغـيرة أي الدقيقـة ودمه الجـاري في أعضائـه بتوسط العروق الشعريـة، وفـي الأرض جبـال وأوتاد وفـي الإنسان عظامـه الكبار والصغـار، وفي الأرض عروق توصـل بعضها ببعض وفـي الإنسان أعصابـه التي تشده، وفي الأرض أحجار وفـي بدن الإنسان العظام الصغـار التي فـي رجليه ويديه وغيرهما وحجـر المثانة في البعض، وفي الأرض معـادن لا تحصى أو يقال أربعة وثمانون (٨٤) معدناً أو أقل أو أكثر، معدن الفضة والذهب والنورة والزرنيخ والحديد والصفر والفولاذ والقار والكبريت والزيبق والـدر والعقيق والياقوت والالماس والزبرجد والمرجان واللؤلؤ وغير ذلك. وفي الإنسان كل هذه موجودة فـي دمه وبدنه ولكل منها وزن مخصوص يكون بذلك اعتدال مزاجه

وصفاء ذهنه ونشاطه وصحتـه وارتياحه، فلو نقص من هذه المعادن شـيء من بدنه أو نقص أو زاد لخرج مزاجه عن الاعتدال وظهر فيه المرض والاختلال، فلذا أن الأطباء يأخذون دمه ويحللونه ويستنبطون منه المرض أو الصحة، وأيضاً في الأرض حيوانات وحيتان وفي بدن الإنسـان مثلها، وهي الـذرات الصغار غير المرئية فـي دمه التي بها حياته هي الكريات الدموية السابحة في دمه الكثيرة التي تبلغ عدتها من خمسة ملايين إلى ثمانية ملايين بحسب ضعف المزاج وقوته.

وفـي الأرض حيوانات مؤذية مضـرة، وفي بدن الإنسان هو الذي يعد مـن المكروبات الداخلة والخارجة، وفـي البحر مد وجزر كذلك فـي دم الإنسـان إذا خاف هرب دمه وجزر وغـار وإذا غضب طاش دمه ومد وفار، ومن بعض الأعذية والأهوية ما يولد في دمه الطغيان والفوران أو القلة والنقصان، وهكذا.

وأيضـاً في العالم الكبير أيام سبعـة، الأسبوع، وفي الإنسان عقله ونفسه والحواس الخمسة من الظاهرة أو الباطنة، وفي العالم اثني عشر شهراً في كتاب الله، وفي الإنسان عقله ونفسه مع جميع حواسه الظاهرة والباطنة العشر.

وفي العـالم الكبير ثلاثمائة وستون يوماً، وفـي الإنسان ثلاثمائة وستـون عرقاً، وفي العـالم الكبير أربع طبائع علـى رأي القدماء أي أربعـة عناصر، الحرارة واليبوسة وهي كرة النار والحرارة والرطوبة وهي كرة الهواء والبرودة والرطوبة وهي كرة الماء والبرودة واليبوسة وهـي كـرة الأرض، وفي الإنسـان مثلها المرة الصفـراء في الإنسان حـار يابس وهي من كرة النار وكبد الإنسـان حار رطب وهو من كرة

الهـواء والبلغـم في الإنسان بـارد رطب وهو من كرة المـاء والسوداء في الإنسان بـارد يابس وهي من كرة الأرض، وفي غير الإنسان مثل ذلـك، وفـي سائر الحيوانات بـل في كل شيء مثل مـا ذكر لكن في بعضها خفي جداً لا يلتفت إليها ولا يعقلها إلا العالمون.

مثـلاً نقول في الملائكة طبع كرة النـار جبرائيل، وفي الرياح ريح الدبور، وفي الطيور طاووس، وفي الأفلاك فلك الشمس وفي المعادن الياقوت وفي الأنوار النور الأحمر، وفي المجردات عالم الطبيعة وفي الألوان الحمرة، وفي الإكسير الكبريت.

وطبع كرة الهواء في الملائكة إسرافيل، وفي الرياح ريح الجنوب، وفي الطيور الديك، وفي الأفلاك فلك المشتري، وفي المعادن الذهب، وفـي الأنوار النور الأصفر، وفـي المجردات عالم الروح، وفي الألوان الصفرة، وفي الإكسير الفتى الشرقي.

وطبع كرة الماء في الملائكة ميكائيل، وفي الرياح ريح الصبا، وفي الطيـور الحمامـة، وفي الأفلاك فلـك القمر، وفي المعـادن الفضة، وفـي الأنوار النـور الأبيض وفي المجردات عـالم العقل، وفي الألوان البياضـ، وفي الإكسير الفتى الغربي ماء أشبه بالأشياء بالزئبق في الغلظة واللون، وطبـع كرة التراب في الملائكة عزرائيل، وفي الرياح ريح الشمـال، وفي الطيور الغراب، وفي الأفـلاك ظاهر فلك زحل، وفـي المعـادن الأسرب وفـي الأنوار النـور الأسـود أو الأخضر، وفي المجـردات ظاهر عالم النفسـ، وفي الإكسير الأرضـ المقدسة وفي الألوان السواد أو الخضرة هكذا عند بعض الحكماء العارفين.

وأيضاً ففي الأرض ملـك ورعايا كذلك في الجسد الإنساني ملك

وهـو قلبه ورعايا وهـي الأعضاء والجوارح والحواس الخمسة، وفي الأرض خير وشر، وفي البدن الإنساني الخير هو العقل وما يصدر عنه العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، والشر هي النفس الأمارة وما يصدر منها: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[1] وفي الأرض حرب بين الملوك أو غيرهم وتخت الحكم وفي الإنسان قلبه محل الحكم والملكان المحاربان العقل والنفس الأمارة ولكل منهما جنود كما في بعض الروايات جنود العقل خمسة وسبعون وكذلك جنود النفس خمسة وسبعون، وفي كل أمر يبدو للإنسان من خير أو شر يقع الحرب بين هاتين الطائفتين إن كان خيراً فالعقل يطلبه والنفس تمانعه ويقع الحرب بينهما، فلذا سمي المحراب محراباً لأنه حين إتيان الصلاة وأركانها وأفعالها بحكم العقل وإرشاده فالنفس تحاربه وتدافعه حتى لا يصلي أو لا يأتي بشروطها وأركانها صحيحة كاملة. وإن أراد شراً بحكم النفس فالعقل يعظه ويعذله وينهاه، وهكذا سائر الأفعال، وكذا في العالم نبي وشيطان وفي الجسد الإنساني عقله وهو الرسول الباطني ونفسه الأمارة شيطانة، وكذا العالم مربوب هو وجميع ما فيه وله رب يربيه ويمدّه، وفي الإنسان الرب وهو قلبه يربي جميع ظاهره وباطنه وحواسه وقواه وباقي الجسد كله مربوبون له مستمدون منه محتاجون إليه وهو يربي ويمد غافلاً كان الإنسان أو ملتفتاً شاعراً كان أو غير شاعر نائماً كان أو مستيقظاً.

والحاصل أن في الإنسان جميع ما في العالم وهو أنموذج العوالم الغيب والشهادة وكل ما خفي في عالم الغيب يرى تفصيله وشرحه

(١) سورة يوسف/ آية ٥٣.

فـــي الإنسان وفـي الشهـادة يستدل به إلى ذلك العالم وليس مختصاً بالإنســان فقط بـل فـي جميع المخلوقـات كذلك كل فـرد فيه ما فـي العــالم لكن فـــي كل شيء بحسبــه ومرتبته، حتــى النباتات والجماد والمعدن ليستدل به أن خالق النملة هو فاطر النخلة وأن صانع البقة هو خالــق الفيلة، غاية هذا الموضوع أن هذا الإنسان وهو العالم الصغير شرح العالم الأكبر وتفصيله فيه أبين وأفصح من غيره وغير الإنسان فالانطــواء فـي بعضه خفـي وفـي بعضه أخفى لا يطلع عليه إلا الخالق وأولياء الخالق ومن كشفوا عن عينه الغطاء وعرّفوه حقائق الأشياء.

وحيــث أن الإنسان نسخة العالم الكبــير وأنموذجة والتفصيل فيه أجلى وأوضح قال الإمام علي عليه السلام فيما نسب إليه:

أتزعـــم أنـك جـرم صغيـر وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنـت الكـتاب المبـين الـذي بأحرفـه يظهـــر المضمـــر

وهــذا الجرم الصغير فيه جوهر نفيس ثمين وتطبيق شريف متين لا يقاســ بجميع ما ذكر بـل إنما كلف الإنسان لمعرفة ذلك، وهو مثال الــرب الملقــى فـي هويتــه وهو آية ربــه ولا يظهر إلا بعــد كشف جميع سبحاتــه وإنــدكاك كل آياته وهو الــذي قال فيه الإمــام عليه السلام: «**من عـرف نفسـه فقد عرف ربـه**»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أعرفكـم بنفسه أعرفكم بربه**».

والحاصــل أنــت أيهــا البشــر لقــد أودع الله فيك قــوة تتمكن من تصفيــة نفسك وتكميلهــا ورفع عمــى الجهل عنها بسحــق العبودية بصلاية الآداب الشرعية والأخلاق الروحانية والحقائق الإلهية حتى تنعــم أجزاؤها وتتلطف وتصفـي بتكرار الحــل والعقد حتى تزول عنها

غرائـب الأرض وعوارض الأكـدار، ويكشف عن عين بصيرتك وفؤادك جميع السبحات وترفع عنها الأغشية والأستار والموهومات، فيكون قلبك نورانيـاً ومرآتك صافية وبصرك حديداً، ويظهر فيك المثال الملقى في هويتـك وتصل إلى المعرفة الحقيقية، فهناك ترى حقيقة بعض الأشياء وتشاهـد في البعض مـا تشاهد في الـكل وانطواء الكل فـي البعض، وتحيـط على حسب مقامك بالعلوم الظاهـرة والباطنة إحاطة لدنية لا كسبية، وهذا هو الدواء الذي عناه الإمام عليه السلام في قوله:

دواؤك فيـك وما تشعـر وداؤك منـك فلا تبصـر

فـداؤك هو الجهـل وتكاثـر السبحـات والأغشية علـى بصيرتك بتسليـط النفـس الأمّارة علـى عقلك والخـروج عن طاعتـه وطاعة ساداتـك وأئمتـك عليهم السلام حتى لا تـكاد تبصر شيئاً من الحق كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[1].

الحقائـق والعلـوم ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾[2] الحـق وطريق النجـاة ولا يـرون الآيات فـي الآفاق والأنفس ولا يدركـون العبر على كثرتهـا ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾[3] المواعـظ المفيـدة والأدويـة النافعـة، فداؤك هو الذي مرّ عليك قبلاً فبـادر باستعماله قبل موت حقيقتك وعدم نفع الدواء فيك.

وأيم الله قسمـاً بارّاً إن فيك مـرآة إذا صقلتها بما ذكرناه ورفعت الغبـار والرين عنها وكشفت عن وجههـا السبحات عرفت الله تعالى معرفـة تامة كاملة على حسب حدودك ومرتبتك، والصفات الحادثة

(١) (٢) (٣) سورة الأعراف/ آية ١٧٩.

والصفـات القديم وصفات الكمال وصفات الجلال والجمال وصفات النقص والقصور وعرفت أربعة أركان الشيء مـن المشيئة والإرادة والقدر والقضاء والإمضاء وعرفت كيفية التركيب والبساطة وعرفت معنـي البداء ووقوع المحو والاثبـات وعرفت كيف تصدر الكثرات من الواحـد الأحـد البسيط من جميـع الجهات، وعرفـت كيفية ارتباط العوالم بعضها ببعض وكيفية التقاء عالم الغيب بعالم الشهادة وكيفية تعلق بعض المجردات بالمركبات والماديات وعرفت أيضاً أحوال العالم مـن إحاطة العـالي بالسافل وقيوميـة العالي للسافل وقـوام السافل بالعالي بالقيام الصدوري، وعرفت أقسام القيامات وعرفت الملائكة والجن والإنس (الكافر والمؤمـن) والعقل والجهل والقلم ومقام قاب قوسين أو أدنى والملائكـة المقربين والأنبياء والمرسلين وغير ذلك من الـدرة إلى الـذرة كلها تعرفها وتشاهدها فـي نفسك فإن الله جعلها فيـك بأتم تفصيـل وأكمل بيـانٍ وجعلـك أنموذجاً للعـوالم وأحسن عنوان، قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾[2] وهذا معنى قول الإمـام عليه السلام: «**ليس العلم في السماء فينـزل إليكم ولا في الأرض فيصعـد إليكـم بـل هـو مكنـون فيكم مجبول فـي قلوبكـم تخلّقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم**».

نسـأل الله تعـالى بأوليائه الطاهرين صلـوات الله عليهم أجمعين أن ينور قلوبنـا بالمعرفة واليقين وأن يبصّرنـا عيوبنا ويوفّقنا لتزكية أنفسنا ويرفع عنّا حجاب العمى والجهل وموانع النفس والهوى ببركة الصلاة على محمد وآل محمد.

(١) سورة الذاريات/ آية ٢١. (٢) سورة الكهف/آية ٥١.

ذكر بعض الطرق إلى الله تعالى

اعلـم أنّ الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائـق[1]، فلكل أحد من الخلق طـرق إلى الله بعدد أنفاس كل الخلائـق، والشقي من ضاقت عليـه رحمة الله التي وسعت كل شـيء، فليس هناك معادلة ثابتة في جزئيـات السير إلى الله، فكلـه زمان ومكان وفـرد وطرف موجباته وموانعـه، فلذلك تعددت السبـل وإن اتحد الصـراط، إذ جمع الأول وأفـراد الثاني في القرآن.. ومن هنـا لا ينبغي التأسي بخصوصيات السالك الفردية وإن كان واصلاً، لأن لكل فرد ظرفه وتكليفه، ومعرفة السبيـل الأنسب من بين السبل شاغـلٌ لبال السالكين جميعاً، فليست هنـاك مشكلة في الحكم الشرعـي الإلزامي لإمكان معرفة ذلك من خـلال ما ورد في الفقه، وإنما المشكلة كامنـة في الأحداث والودائع الشخصية التي لا دور للفقه فيها، كموارد تزاحم الأهم والمهم.

ومـن هنا يحتـاج السالك إلى بصـيرة نافذة في معرفـة السبيل الأقوم في مقابل السبل المستقيمة الأخرى، وهيً إما أن تحصل:

بالإلقاء في الروع والإحساس اليقيني بذلك، أو بالتسديد القهري بوضعـه علـى الطريق ولـو مع عـدم الإحساس بذلـك، أو عن طريق

(١) أنفس الخلائق: هي عبارة عن كل الخلائق من الدرة إلى الذرة وعبر عنها بالنفس بمعنى الحقيقة أي حقائق الخلائق، فكل موجود ما سوى الله تعالى فهو داخل في أنفس الخلائق أي أن الله تعالى كتب الوجود من تشريع وتكوين بالقلم الذي هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اللوح وهو أمير المؤمنين عليه السلام جميع حقائق الموجودات بما لها وعليها في ذلك اللوح وهو نفس أمير المؤمنين عليه السلام التي هي نفس الله تعالى حيث قال تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ آل عمران/٢٨، فنفس الله تعالى هو أمير المؤمنين عليه السلام.

إشـارات أهـل المعرفة الذي فُتحـت لهم الأبـواب، فناجاهم الله في فكرهـم، وكلمهـم فـي ذات عقولهـم، فاستصبحوا بنـور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة.

وقـد قـال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**اتقـوا فراسـة المؤمن فإنـه ينظر بنور الله**».

واعلم أنه لا طريق أنجح من حسن الظن بالله، فإنه في ظن عبده المؤمـن إن خـيراً فخير وإن شراً فشر[1]، والنـاس قد عرفوا أنفسهم -بمقتضـى تسويـل النفـس والشيطـان- علـى سـوء الظـن بربهم، ومسارعـة أذهانهـم إلى التفاؤل بالسوء، واليأس من الفرج بمجرد مشاهدة آثار الابتلاء، والتخـوف من شدة البلاء، متيقنين في ذلك فيقعون فيما فرّوا منه، ويجري عليهم ما تفاءلوا به من البلاء، فإنه والعياذ بالله نوع من سوء الظنّ، وبسوء الظن يتأهل العبد لأن يعامل بسوء ظنه،إلا أن يعفو الله سبحانه.

فينبغـي لكل مؤمـن أن لا ييأس من رحمـة الله ولا يظن أن الله لا يرحمـه وأنه يعذبه وأن مـا يصيب الإنسان فـي الدنيا من المصائب والأمراض والفقر هو شر لـه وعقوبة بل ينبغي أن يعلم أن الله أرحم مـن والديه، ومـا يصيب الإنسان من المصائـب إنما هو خير وصلاح وذخيرة له في يوم المعاد. وقد رأى بعضهم في المنام صاحباً له على أحسـن حال، فقال: بأي شيء نلت هذا؟ فقال: بحسن ظني بربي وما ينال أحد خير الدنيا والآخرة إلا بحسن الظن بالله تعالى[2].

(١) روي أن الله سبحانه يقول: أنا عند حسن ظن عبدي بي فلا يظن بي إلا خيراً.
(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «حسن الظنّ أن تخلص العمل وترجو من الله أن يعفو عن الزلل».

فيجب على المؤمن المتقي آثار أهل البيت عليهم السلام أن يعوّد نفسه على حسن ظنه بالله، فيرجو من الله بالقليل الكثير فهو سبحانه الذي يُعطي الكثير بالقليل «**يا من يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله**»[1].

وكل ما تؤمله منه وتظنّه به سبحانه وتعالى من أصناف الخير وكرمه فوق ذلك.

ظنك له نهاية وكرمه سبحانه لا نهاية له، وهو سبحانه قد أخبرك بأنه في ظنّك الحسن، وعند ظنّك الحسن وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه**»، وإنّ كلّ من يحسن الظنّ بيء يصدق الله ظنه، ويجري له الأمر على وفق ظنّه الحسن، وكأنه من أفراد حسن الظنّ بالله، إذ معنى ظنّ الخير بهذا الشخص، يرجع إلى الظنّ بأنّ الله أودع فيه ذلك الخير، وقد جاء خبرٌ صريح بأنّ من ظنّ بحجر خيراً جعل الله فيه سراً، فقال له الراوي: بحجر! فقال له الإمام عليه السلام: أو ما ترى الحجر الأسود.

فيُستفاد من هذا أن الله سبحانه وتعالى، يصدق الظنون الحسنة من المؤمنين من بعضهم في بعض، أو يحقق لهم ذلك.

ومن ذلك تصديق شهادة من يشهدون للميت بأنهم لا يعلمون منه إلاّ خيراً، للتنبيه على حسن الظنّ، بل على عدم العلم بغير الحسن، وقد ورد الحديث بأن الله يجيز شهادتهم ويغفر لهم وله ما يعلم لما لا يعلمون.

(١) دعاء عن الإمام الصادق عليه السلام من أدعية شهر رجب.

فمقتضى حسن الظنّ أن يجريه الله للظانّ ولمن ظنّ به الخير، إلاّ أن يمنع مانع قوي من جريانه في من ظنّ به، فيجريه الله للظانّ.

كما في بعض الأخبار، أن الرجل قد يكرم رجلاً على أنه من أهل الخير فيدخله الله بذلك الجنة، وإن كان في علم الله ذلك المكرم من أهل النار.

فهذا مما منع فيه المانع القوي، من إجراء الظنّ في من ظنّ به، فأجرى للظانّ.

الحاصل أنّ من امتثل ما أُمر به من حسن الظنّ لإخوانه المؤمنين لا يخيب، إذ هو إما أن يصدّق ظنّه، ويقلب الأمر على وفق ظنّه برحمة الله، أو يجري له ظنّه في حقه، ولا يضرّه تخلّف ذلك في المظنون به الخير، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**حسن الظن راحة القلب وسلامة الدين**». وقال عليه السلام: «**من حسن ظنه بالناس حاز منهم المحبة**».

ولعله على هذا اتبني الأمر في قبول صلاة الجماعة فإنّ المأمومين آمنوا الظن بالإمام وجعلوه واسطة بينهم وبين الله في قبول صلواتهم فأعطاهم الله ذلك فقبل صلاة الجميع بحسن الظنّ به.

كذلك يشرب المؤمن من سؤد أخيه المؤمن تبركاً به.

كذلك في الدعاء فقد ورد في الحديث إن الله يجيز دعوى حسن الظنّ وإن كانت كاذبة[1]، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا كان

(١) انظر إلى هذه الرحمة المستغرقة لأدنى القابليات التي تدّعي حسن الظنّ ادعاء، فكيف بمن يدّعيه صادقاً؟! وكيف بمن يمارسه تطبيقاً في الحياة الدنيا؟!

يـوم القيامـة جـيء بعبد فيؤمـر به إلى النـار فيلتفـت، فيقول الله سبحانه وتعالى: ردّوه.

فلما أتى به قال له: عبدي لِمَ التفتّ إلي؟

فيقول: يا رب ما كان ظنّي بك هذا!

فيقول الله جلّ جلاله: فما كان ظنّك؟

فيقـول: يـا رب! كان ظنّـي بك أن تغفـر لي، وتسكننـي برحمتك وجنتك.

قـال: فيقول الله جل جلاله: يـا ملائكتي، وعزتي وجلالي، وآلائي وبلائـي، وارتفاعـي في مكاني، ما ظن بي هـذا ساعة من خير قط، ولو ظنّ بي ساعـة من خير ما روّعته بالنار، أجيزوا له كذبة وأدخلوه الجنة.

واعلم أن حسن الظنّ ليس مقتضاه الخلود إلى الراحة وترك العمل معللاً بحسن الظنّ بالله، فإن هذا من خدع الشيطان الرجيم أعاذنا الله منـه، بل مقتضاه الانجذاب إلى ما عنـد الله، وشدّة الرغبة في مواهـب الله، فـإنّ من أنس بمواهب الله جذبـه الطمع، وهانت عنده الشدائد، ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

عـن الإمام الرضا عليه السلام قال: إنّ الله أوحى إلى داود عليه السلام قال: إنّ العبد من عبادي يأتيني بالحسنة فأدخله الجنة.

قال: يا رب، وما تلك الحسنة؟

قال: يفرّج عن المؤمن كربة ولو بشق تمرة.

فقال داود عليه السلام: حق لمن عرفك أن لا ينقطع رجاؤه منك.

فـإذا كان عـز وجـل يعطـي هذه الجنـة العظيمـة التـي عرضها السموات والأرض بشق تمرة فبالله عليك كيف يسوغ ترك المعاملة مع هـذا الكـريم، والتغافل عن معاملته طرفة عين؟ وبـأي شيء يستبدل عنـه؟ ومـن فاتته لحظـة لم يقبـل فيها علـى الله، فأي شـيء يكون عوضـ ما فاته؟! هيهات، لقد فاته شـيء لا عوض له، ومن أجل هذا المعنى وشدة رأفة الله بعباده المؤمنين، جاءت الشريعة الغرّاء بترتيب المثوبـات العظيمة على حركات المؤمنين وسكناتهـم، وحتى علَّم علي بن الحسين عليه السلام شيعته الدعاء بقوله: «**اللهم اجعل همسات قلوبنا، وحـركات أعضائنـا، ولمحات أعيننـا، ولهجات ألسنتنـا في موجبات ثوابك**»[1].

وقـال عليه السلام فـي بعضـ أدعيتـه: «**واستغفـرك مـن كل لـذّةٍ بغير ذكرك**»[2].

فمـراد الله سبحانه في عباده المؤمنـين، أن لا يخسروا خسراناً لا جبر له بالغفلة عن معاملته، وفقد أجرته طرفة عين.

ولهذا جعل الطرق إليه بعدد أنفاس الخلائق، بحيث أنّ «من شرب المـاء وذكر الإمـام الحسين عليه السلام وأهل بيته ولعـن قاتله، كتب الله له مائـة ألـف حسنة، ومحى عنـه مائة ألـف سيئة، ورفع لـه مائة ألف درجـة، وكان كأنما أعتـق مائة ألف نسمة، وبعثه الله يوم القيامة ثلج الفؤاد»[3].

(١) الصحيفة السجادية: ٦٠.
(٢) المناجاة الخمسة عشر.
(٣) الكافي::٦، ص٣٩١.

فهـل صاحب هذا العطـاء، والمعد لهذا الجزاء، يرضـى أن يضيّع على عبده المحتاج إليه وهو الغني المطلق نفساً من أنفاسه؟!

حاشـا وكلا! بـل يريد من هذا العبد المسكـين أن يكون مقبلاً على ربـه، حيث أنه لا خـير إلا عنده، ولا شرف إلا فـي الإقبال إليه، فإذا أقبل هو على الله أقبل هو عليه، وإذا أقبل عليه عامله بفضله وكرمه، وهـداه لأن يقصد بـكل خطراته وحركاتـه وسكناته ونومـه ويقظته رضاء ربه، بما يقتضيه كرمه وجوده ومنّه.

ومنـه ما عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إن الله أوحى إلى داود عليه السلام: بلّـغ قومـك أنه ليس من عبدٍ منهم آمـره فيطيعني، إلا كان حقاً عليّ أن أطيعه وأعينه على طاعتي، وإن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته، وإن أعتصم بي عصمته، وإن استكفاني كفيته، وإن توكّل عليّ حفظته من وراء عوراته، وإن كاده جميع خلقي كنت دونه».

كذلك تأتي رأفته البالغة ورحمته الواسعة أن يبلغ في تحذير عبده المسكين عن التخطي إلى ما لا يعنيه فضلاً عما يضرّه.

● **في بعض الخطابات القدسية:**

«يابـن آدم! إذا وجـدت قسـاوةً فـي قلبـك وسقمـاً فـي جسمـك، ونقصـاً في مالك، وحريمـةً في رزقك، فاعلم أنك قد تكلّمت فيما لا يعنيك».

وهو الفضول من الكلام، فضلاً عن المحرّم، فهو أضرّ على الإنسان مـن السمّ إذ منتهاه أن يؤثر في الجسـم، والفضول من الكلام يؤثر قساوةً في القلب والنقيصة في المال، والحرمان في الرزق مع السقم

فـــي الجسد، فكيـف يرضى له الربّ الرؤوف بـأن يعرّض نفسه لهذه المهلكة العظيمة.

بـل ورد أنّ اللّه سبحانـه يحاسـب العبد على فضـول النظر، كما يحاسـب علـى فضـول الكلام فمـن أجل أنـه لا يريـد أن يضيّع على عبـده البائس المسكين، نظرة مـن نظراته، جعل لـه النظر إلى وجه العالم عبادة، والنظر إلى الكعبة عبادة، والنظر إلى ذرية رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عبـادة، والنظر إلى وجه الوالدين عبـادة، والنظر إلى المخلوقـات بعين الاعتبار عبادة، وأي عبادة! فإنه التفكير الذي ساعة منه تعدل عبادة ستين سنة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1].

(١) سورة البقرة/ آية ١١٥.

ما هي الشروط لكي يستمر السالك في طريق الله وإلى الله في حركته نحو المحبوب؟

١- اجتناب معاشرة الفاسقين من الذين لا أمل في عدوتهم إلى جادة الصواب واستبدال ذلك بمعاشرة الأتقياء من الناس والعلماء الربانيين، قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أوحش الوحشة قرينُ السوء**».

أما أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إحذر مجالسة قرين السوء فإنه يُهلك مقارنة ويُردى مُصاحِبهُ» وفي مكان آخر يقول عليه السلام: «**صاحب الحكماء وجالس الحُلماء واعرض عن الدنيا تسكن جنة المأوى**».

٢- عاشر الخلق وباشرهم وليكن ذلك طلباً لِما عند الله وابتغاء لرضا الله، بأن يكون همك الإحسان إليهم وإدخال النفع عليهم، فإنّ الخلق عيال الله وأحب الخلق إلى الله من أدخل النفع على عيال الله. وإذا أردت المرتبة العليا بأن تكون أحب الخلق إلى الله عليك أن تعلم إن انتفاعك منهم بهذا الطريق أعظم من نفعك لهم، حيث أنك بسببهم توصّلت إلى أن تكون أحب الخلق إلى الله فلا تطلب منهم نفعاً غير هذا وإذا كان معاشرتك أن تنفعهم ويصل منك الإحسان إليهم فوطن نفسك أولاً على تحمّل الإساءة منهم وعدم مكافأة المسيء بإساءته لأنك تريد الاقتداء بأهل بيت محمد صلوات الله عليهم سجيتهم الإحسان من أساء إليهم والعفو عمن ظلمهم والوصل مع من قطعهم والإعطاء لمن حرمهم.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**إنّ أحب الخلق إلى الله المتأسي**

بنبيه» فتحصل بإساءته إليك ومقابلتك له بالإحسان على هذا المقام العالي أولاً ثم إنك مع فقرك ولؤمك وحاجتك إذا كافأت المسيء بالإحسان فالله سبحانه وتعالى بكرمه وغناه أولى على أن يكافئك على الأعمال السيئة بالإحسان فتحصل لك الحجة على إكرامه بذلك ثانياً.

واعلم أن عمدة الإحسان إلى الناس ليس ببذل المال لأن بعض الناس يبذلون المال ولا يكون ذلك إحساناً بل يتتبع إساءة وتكدير خاطر ويكون من قبيل صدقه يتبعها أذى وإن كان أصل قصدهم الإحسان لأنهم لم يعرفون وجهه لعدم الالتفات إلى قواعد أهل البيت عليهم السلام فإذا أردت أن تقضي حاجة لأخيك المؤمن على وفق طريقة أهل البيت عليهم السلام فاعلم أنهم قالوا: إن قضاء الحاجة تتم بثلاث أمور: تصغيرها لتكبرُ، وتعجيلها لتهنأ، وكتمانها لتظهر. وما لم تجتمع هذه الأمور لا تكون الحاجة تامة بل تكون ناقصة مكدّرة بل ربما كانت أذية على صاحب الحاجة.

فإذا تمت لك المعاشرة مع الخلق لأن تنفعهم وقطعت نظرك عن الانتفاع بهم بالمرة فلا تستغرق أوقاتك بالخلق، وتجعلهم شغلك وهمك فإنك مأمور من أهل البيت عليهم السلام: أقلل معارفك وانكر من عرفت، والحكمة في ذلك أن لا يشغلوك عن التوجه إلى خالقك.

٣- الحذر الشديد من لقمة الحرام والابتعاد عن الأكل الذي تحوم حوله الشبهات فلا يأكلون على موائد من لا يعرفون كيف حصلوا على ثرواتهم ومن أي طريق كسبوا أموالهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أكل لقمة من حرام لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»، وقال

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : «**إن لله ملكاً ينادي على بيت المقدس كل ليلة من أكل حراماً لم يقبل الله منه حرفاً ولا عدلاً، والحرف هي النافلة والعدل الفريضة**».

وقال الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَام: «**إنّ الرجل إذا أصاب مالاً من حرام لم يُقبل منه حجّ ولا عمرة ولا صلة رحم**».

٤- تطهير الباطن من كل الرذائل والعقد النفسانية والتحلّي بالأخلاق الحميدة لأن الأخلاق في الإسلام ليست جزء من الدين بل هو جوهره وروحه، وكفى حسن الخلق فضلاً أنه يستميل النفوس ويورث المحبة ويزيد في المودة ويهدي إلى الفعل الحسن وقد قال تعالى في وصف النبي محمد صلوات الله عليه وآله: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

أما أمير المؤمنين يقول في إحدى خطبه وهو يصف رسول الله بأخلاقه العظيمة، قال عَلَيْهِ السَّلَام: «ولقد كان في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم كافٍ لك في الأُسوة ودليل لك على ذَمّ الدُّنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها، إذ قُبضت عنهُ أطرافها ووطئت لغيره أكنافها[1] وفطم من رضاعها، وزُويَ عن زخارفها، فتأسَّ بنبيك الأطيب الأطهر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فإنَّ فيه أُسوةً لمن تأسّى وعزاءً لمن تعزَّى، وأحبُّ العِباد إلى الله المتأسي بنبيه والمقتصُّ لأثره».

(١) الأكناف: الجوانب.

وقد ذكر عليه السلام من صفاته:

«ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد، ويخصفُ بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحِمار العاري، ويُردفُ خلفهُ، ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة -لإحدى أزواجه- غيّبيه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها».

أما الرذائل هي الخصال الذميمة والسيئة عند الإنسان، هذه الرذائل تحجب الإنسان عن الفضائل كالغرفة المظلمة التي حُرمت من أشعة الشمس، فالجهل والحمق والاستهتار والتكبر والغرور وغيرها من الرذائل تمنع عن إدراك حقائق الأشياء وبالتالي تؤدي بالإنسان إلى عدم الاتجاه إلى الفضائل.

قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذي جيرانها.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا خير فيها هي من أهل النار.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ سوء الخلق ليفسدُ العمل كما يُفسد الخل العسل**» يحتاج الإنسان في حياته إلى قطع دابر الشياطين ويروض نفسه ويعوّدها ويأمرها أن تتحلى بالفضائل وتكره الرذائل وذلك عن طريق التزود بالعلم والأخلاق الحميدة والعبادة والدعاء والإخلاص لله عز وجل فمن تمرّن على رفع عشرين كيلوجرام إزداد قوة حتى يتمكن من رفع ثلاثين وهكذا.

قصة: ما هو أخبث وأطيب ما في الإنسان؟

يقال أن حكيماً سأل ابنه ما هو أخبث مما في الإنسان؟

قال الولد: اللسان يا أبي.

قال الأب: لماذا؟

قال الولد: لأنه إن خبث وفسد يؤدي بصاحبه إلى الهلاك وإلى النار.

قال الأب: وما هو أطيب ما في الإنسان؟

قال الولد: اللسان يا أبي.

قال الأب: ولماذا؟

قال الولد: لأنه إن طاب وحسن قاد صاحبه إلى النجاة وإلى الجنة.

أما أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عندما سُئل: أي شيء مما خلق الله أحسن؟

قال عليه السلام: الكلام.

فقيل: أي شيء مما خلق الله أقبح؟

قال عليه السلام: الكلام.

ثم قال: بالكلام ابيضت وجوه وبالكلام اسودت الوجوه.

أما الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام وهو يستعيذ من الرذائل البشرية قائلاً:

«اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة

الحسد وضعف الصبر وقلة القناعة ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة وإيثار الباطل على الحق والإصرار على المآثم واستصغار المعصية واستكبار الطاعة ومباهاة المكثرين والإزراء بالمقلّين وسوء الولاية لمن تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا أو نعضد ظالماً أو نخذل ملهوفاً أو نروم ما ليس لنا بحق أو أن نقول في العلم بغير علم ونعوذ بك أن ننطوي على غش أحد»[1].

٥- الاجتناب عن التخمة والشره في الطعام والشراب لما لها من آثار في تحريك الحالات الشيطانية ومنع حالات الإلهام والإشراق، (من كثر أكله قلّت صحته وثقلت على نفسه مؤنته).

قال الإمام الصادق عليه السلام:

قلة الأكل محمود في كل حال وعند كل قوم لأنه فيه مصلحة للظاهر والباطن، والمحمود من المأكولات أربعة: ضروري وعدة وفتوح وقوت فالأكل الضروري للأصفياء والعدة لقوام الأتقياء والفتوح للمتوكلين والقوت للمؤمنين وليس شيء أضر للقلب المؤمن من كثرته فيورث قسوة القلب وهيجان الشهوة، والجوع ادام للمؤمنين وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن.

٦- اجتناب كثرة النوم والحذر من الكسل والتكاسل في أداء الواجبات الدينية والأفعال العبادية.

أن كثرة النوم يتولد من كثرة الشرب، وكثرة الشرب يتولد من كثرة الشبع وهما ينقلان النفس عن الطاعة، ويقسيان القلب عن التفكر والخشوع.

(١) الصحيفة السجادية.

جاء في الأثر أن موسى عليه السلام سأل ربه:

أي عبادك أبغض إليك؟

قال: جيفة بالليل بطال بالنهار.

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال:

قالت أم سليمان بن داود لسليمان عليه السلام: إياك وكثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيراً يوم القيامة.

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: «**بئس الغريم النوم، يُفني قصير العمر ويُفَوِتُ كثير الأجر**».

أما عن الكسل والتكاسل يكفي فهم هذه القصة:

كان لقمان الحكيم غلاماً لأحد الناس وكان مولاه إنساناً جيداً من المعتقدين بالله ولكنه كان مغروراً وعند المساء نام الجميع وهدأت الأجساد ولم تمض إلاّ سويعات حتى فاق لقمان لصلاة الليل ولكنه لم يرى مولاه مستعداً لصلاة الليل بل وجده نائماً، فقال له: سيدي الجليل أفق من نومك لنصلي معاً صلاة الليل!

فأجابه مولاه: ما أزال أحتاج إلى النوم فدعني ساعة وسأقوم بعدها وإن الله أرحم الراحمين، وصار الوقت إلى أول أذان الصبح فذهب إليه وقال له: قم لصلاة الصبح أول وقتها فأجابه: دعني قليلاً وإن الله أرحم الراحمين.

وقرابة طلوع الشمس جاءه لقمان للمرة الثالثة ليقول له:

انهض يا سيدي فالصبح قد لاح.

فأجابه: دعني يا هذا فإن الله أرحم الراحمين.

وظل نائماً إلى أن بزغت الشمس وعندما أحرقت أشعتها ساقيه أفاق من نومه، وفي الصباح أعطى لقمان حفنة من القمح ليبذرها في المزرعة الفلانية، ومن أجل أن يعطي لقمان مولاه درساً ذهب إلى هناك وبذر حبوباً من (الدُّخن) ورجع ليخبره بذلك فقال له مولاه: هل جننت بفعلك هذا؟!

قال لقمان: إن الله أرحم الراحمين وقد رأيت أن القمح ثمين والدُّخن غير ذلك فآثرت زراعة الأخير علّنا نحظى بالقمح وإن الله أرحم الراحمين.

فقال له مولاه: من أين تعلّمت ذلك؟

قال لقمان: منك يا مولاي لكونك تنام الليل كله ولا تصحو لصلاة الصبح وتقول إن الله أرحم الراحمين ترجو بذلك الفوز بالجنة والرضوان فما زرعته تحصده، فمن زرع قمحاً حصد قمحاً ومن زرع دُخناً حصده والدنيا مزرعة الآخرة.

إن اجتناب معاشرة من لا يرتضي الإسلام معاشرته والابتعاد عن اللقمة الحرام ورذائل الأخلاق واجتناب التخمة وكثرة النوم يكوّن أرضية مساعدة على تلقي الفيض الإلهي حيث تنشط جوارح الإنسان للعبادة وخدمة خلق الله عز وجل خاصة الفقراء الذين هم عيال الله تبارك وتعالى، لذا يسعى الإنسان المؤمن ألاّ ينظر بعينيه إلاّ ما أحلّ الله وأن يسدّ أذنيه عن سماع الغيبة والنميمة ويصون لسانه عن قول السوء وأن يعفّ نفسه فلا يرتكب ما حرّم الله عز وجل ولا يكون في مكان يكره الله عز وجل وجوده فيه، وألاّ يفتقده الله تبارك وتعالى في المساجد والأماكن المباركة.

مراتب أهل السلوك

١- مرتبة العلم:

الإثبـات بالطريـق العلمـي ذل العبودية وعز العبوديـة، وقد يكون حجابـاً من أكـبر الحجب حيـث أن السالك ينشغـل بالتفريعات بعد دخولـه هذا البحر العظيم فينسى الهـدف الأساسي وهو الفناء في الله، فيصـير العلم حجابـاً على قدر فروعـه وغزارته ويحتجب عن الحقيقة أو حقيقة الحقائق.

وكقول سيد الشهداء عليه السلام في آخر دعاء يوم عرفة:

«**إلهـي أمـرت بالرجوع إلى الآثـار فارجعني إليهـا بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك كما دخلت إليك مصون، السر عـن النظـر إليها ومرفوع الهمـة عن الاعتماد عليهـا، إنك على كل شـيء قديـر**». أي ارجع وادخل في باب فنائي الذي هو نقطة ابتدائي حين بدأت، فسبل الخلايق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، ولكي تدخل هذا الباب يجب أن تغيب عن جهتك التي هي من نفسك، وتندك في جهتك من ربك.

يقول الشيخ الأوحد أحمد بـن زين الدين الإحسائي (قدس) إنك إذا استشعـرت أنك عامل فأنت لم تغيـب عن نفسك فالعامل موجود والموجود مقابل وجود أهل البيت فهو محجوب بذلك الوجود، فالموجود مقصر والمقصر مذنب، والمذنب يظل خائفاً من ذنبه، وذلك بعينه ما يحصل عندما يستشعر المحب حبه لهم فإنه موجود وبالتالي محجوب بحجاب المحبة التي قالـوا فيها: المحبة حجاب بين المحب والمحبوب،

فـإذا فقـد نفسه من وجدانه ظهر له ربه بوجـوده، هذا الوجود الذي ظهر له هو آية ربه ودليله عليه وصفته التي عرفه بها.

٢- مرتبة الإيمان:

أن يكتب كل ما أدركه عقله على صحيفة قلبه إلى أن يوصل حقيقة ذل العبودية وعز الربوبية إلى قلبه فيحصل الإيمان بالحقائق.

٣- مرتبة الإطمئنان:

مثل النبي إبراهيم عليه السلام، المرتبة الكاملة للإيمان.

٤- مرتبة المشاهدة:

نور إلهي يتجلى في سر السالك تبعاً للتجليات الاسمائية والصفاتية ينور جميع قلبه بنور شهودي.

في بيان أن الله خلقنا للسعادة الدائمة أعدّها لنا وأعدّنا لها

اعلم أن الإنسان خُلق للحياة الدائمة والعيش السرمدي، وعمر الآخرة لا نهاية له، وقد جعل الله هذه الدنيا مزرعةً للآخرة، ورتّب الجزاء في الآخرة على الأعمال في هذه الدنيا، فكان تأهل العباد لتلك السعادة الأبدية بهذه الأعمال الدنيوية.

ولا ريب أنّ هذه الأعمار القصيرة، والمدة القليلة، لو استغرقت بالعبادة بحيث لم يعص الله فيها طرفة عين، ولم يصرف مقدار نفس من الأنفاس إلا في طاعة الله، فهي مع ذلك قاصرة وناقصة بالبداهة والضرورة، عن الأهلية للمقابلة، ومقام المعارضة والمجازاة فلا بدّ بمقتضى الرأفة الإلهية والرحمة الربانية، أن يفتح لهم أبواباً من أبواب كرمه يؤهّلهم بها لمقام الجزاء بما لا انقضاء له ولا فناء، إذ كل نعمه ابتداءٌ، وكل إحسانه تفضّل.

فأول ما تفضّل به عليهم بجوده وكرمه، أن جعل أعمالهم غير منقطعة بانقطاع آجالهم، ولا منتهية بانتهاء مددهم، بحيث جعلها يمكن أن تكون منطبقة على عمر الدنيا، ومستغرقة لأيام العمل ووجود العاملين، وذلك بأن جعل من أحكام دينه التي حكم بها: أنّ من سنّ سنّة هدى فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، كما أنّ من سنّ سنّة ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وكذلك جعل من أحكامه: أنّ الولدين شركاء مع أولادهما فيما يعملون من أعمال الخير، بمقتضى التسبب والعلية للوجود، وهذه سلسلة غير منقطعة.

وكذلك جعل ثواب بعض الأعمال: أن يخلق منها ملائكة يعبدون الله إلى يوم القيامة، ويكون ثواب عبادتهم لصاحب العمل.

وكذلك فتح لهم باب التنزيل، فنزّل العمل ليلة واحدة بمنزلة العمل في ألف شهر بل أخبر الله سبحانه فقال: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1].

وجعل تفكّر ساعة بمنزلة عبادة ستين سنة، وجعل مبيت ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام تعدل عبادة سبعمائة سنة.

وجعل قضاء حاجة المؤمن يعدل عمل تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره قائماً ليلها وجعل صيام ثلاثة أيام من كل شهر، قائمة مقام صيام الدهر.

كل ذلك بعطفاً منه على عباده المؤمنين، وتفضلاً ليؤهلهم لأن يوصلوا إلى رتبة استغراق عمر الدنيا بالطاعة، حتى يكون لهم شوق التأهل بهذه المرتبة النفيسة بجوده وكرمه.

ثم ذلك قليل في جنب ما يريد أن يؤهلهم عن استغراق مدة الأمد والسرمد، بالعبادة والطاعة له عز وجل، فأكمل لهم الامتنان ليتم لهم الأنعام بأن فتح لهم باب الجزاء على النية التي هي خير من العمل، فجعل نيات المؤمنين أن لو خُلّدوا في الدنيا، لداموا على طاعتهم لله عز وجل، فأنا بهم على ذلك ثواب الدائمين على طاعته، وجعل جزاءهم على هذه النيات الخلود في الجنة.

(١) سورة القدر/ آية ٣.

كمـا أن الكفار بسـوء نياتهم، وأنهم لو دامـوا على معصيته، جعل جزاءهم الخلود في عقابه.

أيها الأخ السالك والأُخت السالكة إلى طريق اللّه:

اعلم أن أعمالك مبنية على الدوام لا على الانقطاع، وإن كنت تراها منقطعة ففي بعض الأخبار: أن السعيد من ماتت سيئاته بموته، يعين من سعادته أن لا يُعمل بها بعده، وإلا فإذا عمل بها اقتداءً به واقتداءً بمن اقتدى به، كان عليه وزرها إلى يوم القيامة.

فالمعصيـة والعياذ بـاللّه مقتضاها التسلسـل.. إلا أن يتعطف اللّه بمحوها وإزهاقها.

فاحذر كل الحذر من المعاصي! فقد تؤثر في الأعقاب وفي أعقاب الأعقـاب وأرغب في الطاعـات! فإنّ ما كان للّه ينمـو، ومن نموه أن يؤثر بعـده إلى آخر الدهر، وفي الأعقـاب وأعقاب الأعقاب إلى يوم القيامة.

فتيقظ ولا تكن من الغافلين[1].

(١) إنّ العاكف على الذنب ولو كان صغيراً لا إستعداد له للسير في هذا السفر، الذي يحتاج في أصله أن يكون المسافر فيه مقبولاً لدى مولاه.. فإنّ النجاح في هذا الطريق يتوقف على النفحات الإلهية الآخذة بيد العبد، وهي لا تتأتى لمن يتعرّض لسخط مولاه صاحب تلك النفحات، ومن المعلوم أنّ الذنب وإن كان صغيراً إلاّ أنّ الذي أذنبنا بحقّه كبير، بما يجعل المعصية بين يديه سوء أدب عظيم، يوجب الخجل والوجل بعد الالتفات إليه.. ومن هنا كان ديدن جميع من سلكوا هذا الطريق هو الاستغفار المتواصل، لتجديد العهد بالرب الذي ما عرفناه حقّ معرفته، وما عبدناه حقّ عبادته.. وأما استغفار الأنبياء والأوصياء عليهم السلام فإنما هو لإظهار التذلل والتعظيم بالإضافة إلى تبدل حالاتهم في بعض الأحيان من الأعلى إلى العالي، وهذا كافٍ لأن يوجب لهم طلب الاستغفار دائماً.

اتخذ الله تعالى أهل العصمة عليهم السلام أعضاداً لخلقه

اعلـم أن الشيء لا يتقوم إلاّ بمادتـه وصورته، وذلك لتوقف وجوده على العلة المادية والعلة الصورية، ولما خلق الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم سراجـاً منيراً أشرق نوره حتى ملأ العمق الأكبر، فخلق الله مـواد الأشياء من نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولما خلق الله سبحانه وتعالى علياً عليه السلام قمراً منيراً أشرق نوره حتى ملأ العمق الأكبر، فخلق سبحانه صـور الأشياء من نور عليّ عليه السلام فالمـادة هي الأب والصورة هي الأم قـول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنـا وعليّ أبوا هـذه الأمة**» وقول الإمـام الصادق عليه السلام: «**إنّ الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم من رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية على معرفته يوم عرّفهم نفسه، فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأُمه، أبوه النور وأُمه الرحمة**» لأن النور هو المـادة، والمراد به الوجود لقـول الصادق عليه السلام في تفسير قوله عليه السلام: «**اتقـوا فراسـة المؤمن فإنه ينظر بنـور الله**» قال عليه السلام: «**يعني بنوره الذي خُلق منه**».

والرحمة: هـي الصورة لأنَّ الصورة صبغٌ للمـادة، فالرحمةُ صبغ الوجـود، وهي الماهية الثانية، لأنَّ الماهية الأولى شرط لتحقق الوجود في الخلق الأوّل قبل التكليف.

وأما في الخلق الثاني حين قال لهم (ألست بربكم)؟

فمـن أجاب بلسانه وقلبـه خلقه من صورة الإجابـة، وهو الصورة الإنسانيـة حقيقة، وهي الصبغ في الرحمة، ومن عصى بقلبه، خلقهُ

من الصورة الشيطانية وهـي الصبغ في الغضب، فالسعيد من سعد في صبغ الرحمة كما قال عليه السلام وهي الأُمُّ، والشقي من شقي في صبغ الغضب.

إذاً فالمـادة والصـورة اللتان هما العلتان لا يتقـوّم الشيء إلا بهما هما ركنا الشيء وعضده.

كيف تعرف الله بالله؟

س: ما معنى اعرفوا الله بالله؟

إنه سبحانه عرّف الخلق للخلق بما هُم عليه، إنّهم خلقٌ، وهو عرّف نفسه أنه ليس بخلق ولا يشبه شيئاً من الخلق فلا يُدرك ما تعرّف لهم بـه بشيء من بصائرهـم ولا من أبصارهم وإنما يُعـرف بِبصرٍ منه قال عليه السلام «اعرفوا الله بالله»، وقال الشاعر:

إذا رام عاشقـــها نظـــرة ولم يستطعها فمن لطفها

أعارتـه طرفـاً رآهـا بـه فكان البصير بها طرفهـا

إن الشـيء إنما يعرف بصفته، فالأحمر يعرف بالحمرة، والطويل بالطـول، والعريض بالعرضـ، والمتحرك بالحركـة والمتحيّز بالأين، والموقت بمتى والجسم بالأبعاد الثلاثة والمخلوق يعرف بصفات الخلق من الحركـة والسكون والإشارة والنسبة إليه وبـه وبالإدراك له، بأي طور كان وما أشبه ذلك.

فإذا قلت لك: أخبرني الله تعالى طويل؟

قلت: لا.

وإذا قلت لك يصحّ نسبته إلى شيء أو نسبة الشيء إليه؟

قلت: لا.

وإذا قلت لك: يجوز عليه الشبه والمساواة أو الإدراك؟

قلت:لا.

فقد عرفت الله بالله لأن الشيء إنما يعرف بما هو عليه، فلو عرفته بغير ما هو عليه لم تعرفه.

والدليل على أنك عرفته، أني لو قلت لك: الشيء الذي كتمته في بيتي ما هو؟

طويل أم قصير؟ متحرك أم ساكن؟ أذو لون أم لا لون له؟ لكنت تقول لي: لا أعلم، وهو حق لأنك إذا لم تعلم بالشيء لا يمكنك أن تصفه، أو تحكم عليه، والله سبحانه نفيت وصفه بصفات خلقه لأنك عرفته به.

ولو قلت لك: ما هو؟

لقلت لي: لا أعلم لأنك تعرفه أنه لا يدرك بالكنه فقد عرفت الله بالله.

يا من دلَّ على ذاته بذاته

اعلـم إن معرفة اللّه علـى مراتب، أحدها الاستـدلال بالآثار على المؤثر، ولذا قال بعضهم: إنما سُمي العالم عالماً لأنه يُعلم به الصانع - أي يستدل به على وجود صانعه، وهذه معرفة المتكلمين وأهل الظاهر.

وأمـا قولـه عليه السلام: «**اعرفوا اللّه بـاللّه**»، فهي معرفـة أولى الأفئدة، فالجهتـان مختلفتـان، فـلا تنافـي... نعـم، قد يـراد بالنظـر في المصنوعـات التفكر والاعتبار، لينقل بذلك إلى مشاهدة ظهور المؤثر فـي آثاره، فـإذا شاهد هذا الظهور نفى: حيـثُ، ولم، وكيف؟ وعاين ظهوره لها بها، فيكون ذلك معرفة اللّه باللّه.

ماذا قال سيد الشهداء في مناجاته يوم عرفة؟

«**إلهـي! أمرتنـي بالرجـوع إلى الآثـار، فارجعنـي إليهـا بكسـوة الأنـوار، وهدايـة الأبصـار حتـى أرجع إليـك منها كمـا دخلت إليك منهـا، مصـون السر عـن النظر إليها، ومرفوع الهمـة عن الاعتماد عليها، إنك على كل شيء قدير**».

فتأمل قوله: حتى أرجع إليك منها، كما دخلت إليك منها.

وقوله: مصون السـر عن النظر إليها، ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليهـا، ولا نعني (بالشهـود) إلا صون السر عن النظـر إليها، وعدم الاعتمـاد عليها، وهذا في الحقيقة معنـى: اعرفوا اللّه باللّه -أي أن تعرفه به لا بصفة أحد من خلقه، فلا ندّ له، لا بعكس شيء من خلقه فلا ضدّ له.

ومعنـى: أن تعـرف بـه: أن يتوجّه سـرّك إلى شيء ثابـت بحقيقة

الشيئيــة، كما نعت به نفســه من غير إشارة ولا كيف؟ ولا شيء سواه، الدال بذاته على ذاته، بحيث لا تشهد في وجودك غيره، ولا وجود لك غير وجوده الظاهر لك بك، ولا تراه بسواه لأن تلك عين منه رأيته به.

ومعنى آخر هو:

إنــك إذا وصــف لك شخص قصراً لم تــره ولم تعلم به، فقال فيه مثلاً خمسة بيوت كبار، فإنك لا تنكر ذلك، وإن قال: صغار، لم تنكر، وإن قال لك: ذلك القصر هل هو هكذا أو لا؟

فإنــك تقــول: لا أعلم، فلا تجد مــن نفسك نفيــاً ولا إثباتاً، وذلك لأنك لا تعلمه.

ولو قال لك: هو قصر مصنوع.

قلت: نعم، لأنك عرفته بنظائره لا بنفسه.

والحق سبحانه، لو قيل لك: هو أحمر؟

لقلت: لا.

ولو قيل لك: هو أبيض؟

قلت: لا.

- هو طويل.

- لا

- هو كذا... قلت: لا، حتى تعدّ جميع ما يسعه وجودك، وأنت تنفيه، ولو قيل لك: هو موجود؟

قلت: نعم.

فهـذا أولُّ دليـل على أنك عرفتـه، وإلا لم تنفِ عنه مـا لا يليق به، فلـو لم تعلم بوجوده، لما قلت: نعم إنه موجـود.. ولو عرفته بغيره كما عرفت القصر بغيره مـن القصور، ولم تنكر ما قيل لك في القصر، وإن كان مخالفاً للواقع، لأنك لا تعرفه.. وأنكرت ما قيل لك في الحق تعالى: إنه بصفة شيء من الخلق، لأنك تعرفه، ولو عرفته بغيره تعالى لشبّهتهُ به، ووصفته بصفته، فإذا كنت قد عرفته، لنفيك ما لا يجوز عليه، وإثباتك ما يجوز، ولم تعرفه بغيره كذلك، كنت، إنما عرفته به لا بسـواه.. والأصل في ذلك أن الشيء إنمـا يعرف بصفته، وبصفة غـيره، فألوهيته إنمـا تعرف بصفتها وصفتها مـا أظهره في هويتك مـن تلك الصفة، وذلك هـو: ظهور لك بك، فتعرفـه بما أظهر منك الذي هـو حقيقتك وأنا أعرفه بما أظهر في هويتي الذي هو حقيقتي من الوجود، وهو ظهوره لي بي بما أظهره فيك، فكل يعرفه بما تعرّف لـه بـه، وذلك شيء غير ذلـك العارف، لذا قـال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**».

فالمعرفة بالآثار، وجود معرفة الله بالله، معرفة شهود.

أساس بناء الذات

«الفلاح» هو المعنى الجامع لكلّ الكمالات الإنسانية، وسبيل الوصول إليه -كما يروي القرآن الكريم- يتلخّص في بناء الذات وتزكية النفس، فقد أكّد الباري تعالى بعد أن أقسم بأشياء كثيرة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[1].

جميع ما جاء به الأنبياء من قبل الله تعالى لهداية الإنسان إنما هو مقدّمة للفلاح ولازدهار الطاقات الإنسانية، وأهم المسائل الأساسية في مجال تزكية النفس هي أن يفكر المرء من أين يبدأ؟ وما هو أساس بناء الذات؟

كان الأنبياء يؤكدون أنّ العمل الأساسي لبناء الذات والخطوة الأولى على طريق تزكية النفس هو (التوحيد)، وانطلاقاً من هذه الرؤية فقد كان الشعار الأوّل لجميع الأنبياء هو كلمة (لا إله إلا الله): ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[2].

وكان أوّل خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» ولكن التلّفظ بكلمة التوحيد وحده لا يكفي، بل إنّ أساس بناء الذات وما يوجب الفلاح والنجاح وازدهار الكمالات الإنسانية هو حقيقة التوحيد، والتوحيد الحقيقي، وأبرز

(١) سورة الشمس/ آية ٩.
(٢) سورة الأنبياء/ آية ٢٥.

دليل على بلوغ الإنسان لحقيقة بمفهومه الواقعي والكامل هو أنه يستطيع الشهادة على وحدانية الله، هو والملائكة والذات الإلهية: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[٢] إذن أساس بناء الذات هو التوحيد فكلّ من يريد تشييد بناء لا بدّ وأن يكون الأساس الذي يبني عليه أساساً سليماً ورصيناً، وإذا لم تكن القاعدة رصينة ومتينة، لا يكون البناء موضع ثقة واطمئنان، إذ يجب على السالك أن يبدأ مسيرته بالتوحيد، فقد كانت الكلمة الأولى لجميع الأنبياء هي كلمة (لا إله إلا الله) وما لم يدرك الإنسان حقيقة التوحيد ويؤمن بعدم وجود مؤثر آخر في الكون غير الله، وأن كل شيء فانٍ إلاّ وجهه، لا يتسنى له بلوغ مرتبة الكمال الإنساني، فالإنسان يستطيع -من خلال إدراك حقيقة التوحيد- التوجّه إلى الله بكل وجوده.

وحينما نقول (لا إله إلا الله) يجب أن نقولها نحن صدق وإخلاص، وما لم يتخلّ المرء عن ضم نفسه وهواه لا يمكن أن يكون موّحداً أو أن يكون صادقاً في قول (لا إله إلا الله)، فمعنى (الإله) هو ما يستهوي قلب الإنسان، وكل ما يهواه قلب الإنسان هو إلهه[٢]، وعندما نقول: (لا إله إلا الله) لا بُد وأن نقولها بشوق، القرآن كلّه يعود إلى كلمة لا إله إلاّ الله، والإنسان يجب أن يبلغ مرحلة لا يبقى فيها أي أثر في قلبه سوى هذه الكلمة أو يفرّغ عن قلبه كل ما سواها: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[٣].

(١) سورة آل عمران/ آية ١٨.
(٢) كما جاء في قوله ﴿أفرأيت من اتخذ هواه وأضّله الله على علم﴾ سورة الجاثية/٢٣.
(٣) سورة الأنعام/ آية ٩١.

فالإنسان شجرة التوحيد، وثمارها ظهور الصفات الإلهية، وهو ما لم يثمر فهو غير كامل، لأنّ حدّ كمال الإنسان هو أن يصل إلى الله، أي أن يكون مظهراً لصفات الحق، فعلى الإنسان أن يسعى جاهداً لإحياء صفات الله، الله تعالى كريم فعليه أن يكون كريماً أيضاً، الله رحيم فعليه أن يكون رحيماً، الله تعالى ستّار فكن أيها الإنسان ستّار العيوب وهكذا، إذا استغرق الإنسان في التوحيد سوف بل تشمله عناية ربّه في كلّ لحظة برعاية خاصة لم يكن يحظى بها من قبل، وتبقى هذه الرعاية تتجدد له في كل لحظة.

الخطوة الأولى في البلوغ إلى حقيقة التوحيد هو تطهير القلب من الشرك:

ومن هذا المنطلق جاء في الشعار الأصلي للتوحيد وهو (لا إله إلا الله) تقدّم نفي الآلهة الكاذبة المزّيفة على إثبات الإله الحق، ولكن يجب أن نعرف أولاً ما هو الشرك؟ ومن هو المشرك؟ وهل ينحصر الشرك في الاعتقاد بألوهيّة الجمادات؟ هل المشركون هم فقط أولئك الذين يعتقدون بأوثان جامدة لا حياة فيها؟ أم أنّ قضيّة الشرك شيء آخر أوسع من ذلك؟ أولاً الشرك المقابل للتوحيد معناه الاعتقاد بقوى وهمية والإيمان بتأثيرها في الوجود، وعبادتها من دون المؤثر الحقيقي في الوجود وهو الله الواحد الأحد.

أمّا الموحد فهو الذي لا يري مؤثراً في نظام الوجود غير الله، ولا يعبد شيئاً سواه، لا من الأوثان الجامدة ولا من الأوثان الحيّة، والمشرك هو من يعتقد بوجود مؤثر آخر في الوجود مع الله، فهو يطيعه، ويعبد الجمادات تارة، ويطيع أصحاب القوة تارة أخرى،

ويصبح عبداً لأهوائه النفسيّة ثالثة، وأخيراً ينصاع لعبودية هذه الأنواع الثلاثة[1].

الأنواع الثلاثة من الشركة المذكورة في الفقرة السابقة مستهجنة في نظر الإسلام وليس هناك من سبيل لبلوغ حقيقة التوحيد إلا بتطهير القلب من الشرك بمفهومه المطلق، علماً أنّ أخطر أنواع الشرك هو النوع الثالث أي الانقياد لهوى النفس لأن هذا النوع من الشرك تنجم عنه موانع تحول دون اكتساب المعرفة العقلية والقلبية، ويكون بمثابة مقدّمة للشرك بمعنييه الأول والثاني:

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

إذن صنم النفس هو أخطر آفة تهدّد سلامة التوحيد.

وقال سماحة الإمام الخميني (ق.س): أُم الأصنام هو صنم النفس، وما لم يُحطم هذا الصنم القوي الكبير فليس هناك من سبيل للسير فوالله جلّ وعلا، ومن العسير جداً أن يُحطّم هذا الصنم أو أن يُروّض هذا الشيطان وإذا تغلّب الإنسان في هذا الصراع على هذا الصنم يكون قد أحرز نصراً ساحقاً في حياته.

وقد نقل أن أحد المصارعين المعروفين في ذلك الوقت اصطحبه

(١) المجموعة الأولى تشير إليها الآية الشريفة ﴿وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ سورة نوح/٢٣، والمجموعة الثانية تشير إليها الآية ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ سورة النحل/ ٢٦، والمجموعة الثالثة تشير إليها الآية ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ سورة الفرقان/ ٤٣.

(٢) سورة الجاثية/ آية ٢٣.

أصدقائه إلى سماحة الشيخ رجب علي الخياط وهو من العارفين[٢]، وعندما رآه الشيخ ربّت على ساعده وقال: «إن كنت بطلاً حقاً فصارع نفسك»! والحقيقة هي أنّ تحطيم صنم النفس هو أول وآخر خطوة لإزالة الشرك والوصول إلى حقيقة التوحيد، كما قال الشاعر:

إسحق نفسك وعانق الحبيب

فإن مسافتك إلي كعبه وصاله خطوه واحد

فأنت إذا تحرّرت من ذاتك تكون قد وصلت إلى الحبيب

وإلاّ فستبقى تحترق إلى الأبد وتبقى هباءً في هباء

ولعلّ هذا المعنى هو أقرب الطرق إلى الله كما نقل أبو حمزة الثمالي عن لسان الإمام سيد الساجدين عليه السلام في قوله: «**وأن الراحل إليك قريب المسافة**».

يُقال أنّ الحدّ الفاصل بين التوحيد والشرك دقيق جداً، ولا يمكن أن تراه كل عين، فقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**إن الشرك أخفي من دبيب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء**».

فالأتقياء وأصحاب البصيرة هم القادرون فقط على رؤية الشرك الخفي والتحذير منه.

(١) ظاهرة العرفان ظاهرة إسلامية أصيلة في جذورها ومنطلقاتها، ألقى بذورها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين أتباعه وتمسك بها الكثير من الصحابة حتى أصبحت هي الطابع الغالب على حياتهم وبها عرفوا واشتهروا، وأفضل دليل هو كثرة الأحاديث التي تحث على الزهد في الحياة وتحض المؤمن على الزهد والتقوى وتبشر الزّهاد والمتقين بجميل المثوبة في دار الآخرة لقاء التخلي عن متاع الدنيا.

قـد يسـأل سائل كيف يتسنّـى للمرء إنقاذ ذاته مـن ربقة الشرك وبلوغ زلال التوحيـد الخالص، كتحطيم صنم النفس واجتثاث جذور الشرك الخفي والظاهر في وجوده؟!

الجواب على ذلك وهو رأي سماحة الشيخ رجب علي الخياط هو:

من يطلـب طريق الخلاص والوصـول إلى مرتبة الكمال الحقيقي واستلهام معاني التوحيد يجب عليه التمسك بأربعة أشياء هي:

١- حضور القلب والتوجه الدائم.

٢- التوسل بأهل البيت عليهم السلام.

٣- التوسل إلى الله في الليالي.

٤- الإحسان إلى الناس.

● **المحبة هي كيمياء بناء الذات وتهذيب النفوس:**

حـب الله يداوي مساوئ الأخلاق كلها دفعة واحدة، ويقدّم للمحب كل الصفات الحميدة دفعة واحدة.

فكيميـاء المحبـة تجتذب المحب نحـو حبيبه اجتذاباً يـؤدّى به إلى قطع جميع العلائق مع أي أحد أو أي شيء آخر.

كمـا جاء في مناجاة المحبّين المنسوبة للإمام زين العابدين عليه السلام: «**إلهـي مـن ذا الـذي ذاق حـلاوة محبتـك فـرام منك بـدلاً، ومن ذا الذي أنسى بقربك فابتغي عنك حولاً**»[1].

(١) المناجاة الخامسة عشرة، مناجاة المحبّين.

أو كما قال الشاعر:

الحب جذّاب إذا تغلغل في الروح يغلق باب القلب عمّا سوى الحبيب

وجاء في رواية منسوبة إلى الإمام الصادق عليه السلام:

«**حبّ الله إذا أضاء على سر عبد أخلاه عن كل شاغل، وكلُّ ذكر سوى الله ظلمة، والمحب أخلص الناس سرّاً لله تعالى، وأصدقهم قولاً، وأوفاهم عهداً**».

وكما قال الفقيه والعارف الجليل المرحوم الملا أحمد النراقي:

إذا خيّم سلطان الحب في قلبك أصبح مُلك القلب مدينة للحب

وقال في حديث آخر:

«**كيف يدّعي حُب الله من سكن قلبه حُبّ الدنيا**».

المعرفة لا تنال إلاّ عن طريق القلب السليم، وهو ذلك القلب الذي يتمتع بالسلامة وليس فيه ذرّة من حب الدنيا، إضافة إلى عدم الرغبة إلى شيء آخر غير الله، وهذا هو التوجيه الذي بيّنه الإمام الصادق عليه السلام في شرحه لمعنى القلب السليم الوارد في الآية الشريفة ﴿ **إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾[1]. إذ قال في تفسيره: «**هو القلب الذي سلم من حب الدنيا**».

وقال أيضاً في حديث آخر:

«**القلب السليم الذي يلقى ربّه، وليس فيه أحد سواه، وكلّ قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط**». وإذا محبة الله تغلّبت على القلب ولم

(١) سورة الشعراء/ آية ٨٩.

يطلب القلب غير الله حقيقة يصل الإنسان عندئذٍ إلى مقام خلافة الله، وتصدر عنه أفعال إلهية كمثال الحديد إذا وضع في النار، نجد صفة النار تغلب بعد مدة على الحديد ويصدر منه ما يصدر من النار من صفة الإحراق وهكذا الحال بالنسبة إلى عمل الإنسان مع ربه.

● **كيف نحب الله؟**

١- **الإحسان إلى الناس:** لما له من دور إيجاد الأنس بالله ومحبته لأن طريق محبة الله يمرّ عبر محبة الناس وخدمتهم خاصة المساكين والمستضعفين، فقد ورد في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**الخلق عيال الله، فأحبّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله وأدخل على أهل بيت سروراً**».

وجاء في حديث آخر أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سُئل: من أحبّ الناس إلى الله؟ فقال: «**خير الناس من انتفع به الناس**».

وإذا شئت أيها المؤمن الاهتداء إلى حقيقة التوحيد، عليك بالإحسان إلى الناس فعبءُ التوحيد ثقيل وخطيرٍ، ولم يقدر أحد حمله إلاّ إنّ الإحسان إلى الناس يجعل الإنسان قادراً على حمله كما أن للإحسان بركات جمّة تعود بالخير على الإنسان في حياته المادّية والمعنوية، ومن أهم آثار الإحسان هو نورانية القلب وزيادة الرغبة في الدعاء والمناجاة والأنس بالله.

● **قصة:**

ما رواه سبط ابن الجوزي بسنده إلى عبدالله بن المبارك كان يحج سنة ويقف سنة فلما كانت السنة التي حج فيها قال: خرجت من مرو ومعي خمسمائة دينار إلى سوق الجمال بالكوفة لأشتري جمالاً

فرأيت إمرأة على بعض المزابل تنتف ريش بطة ميتة فقلت لها: ما تفعلين بها! قالت: لا تسألني عنها فألححت عليها فقالت: أنا إمرأة علوية ولي أربع بنات يتامى وهذا اليوم الرابع ما أكلنا شيئاً وقد حلّت لنا الميتة.

قال: فقلت في نفسي أين أنت عن هذه فصببت الدنانير في طرف ثوبها وهي مطرقة لا تلتفت إلي ومضيت إلى المنزل ثم جئت إلى بلدي مرو وأقمت فيها حتى حج الناس وعادوا فخرجت أتلقى جيراني وأصحابي فقلت لكل من لقيني قبل الله حجك وشكر سعيك، يقول لي وأنت قبل الله حجك وشكر سعيك قد اجتمعنا في مكان كذا وكذا فبت مفكراً في ذلك فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام يقول لي: يا عبدالله إنك أغثت ملهوفة من ولدي سألت الله أن يخلق على صورتك ملكاً يحج عنك كل عام إلى يوم القيامة.

٢- الإخلاص في العمل:

العمل الخالص هو الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلاّ الله عز وجل، والطريق إلى الإخلاص هو قطع الطمع عن الدنيا والتوجه إلى الآخرة بالقلب والمشاعر، ولا بُد للإنسان السالك من خالص النية في كل حركة وسكون.

فيجب على السالك أن يتأمل قبل الإتيان بأي عمل، فإن لم يكن العمل مشروعاً فليتركه امتثالاً لنهي الله، وإن كان مشروعاً وليس في أدائه أثر للأهواء والميول النفسيّة فليؤدّه في سبيل الله، وإن كان مشروعاً ولكن تشوبه أهواء نفسيّة فيجب عليه الاستغفار من ميوله النفسيّة أولاً ثم يؤدي العمل بعد ذلك في سبيل الله.

قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**إذا عملت عملاً فاعمل لله خالصاً لأنه لا يقبل من عباده الأعمال إلا ما كان خالصاً**».

واستناداً إلى وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر الغفاري: «**يا أبا ذر، ليكن لك في كل شيء نيّة صالحة، حتى في النوم والأكل**».

أي يجـب أن تكون الأعمال كلها لله حتى الأكل والنوم، فالماء الذي تشربه بقصد القربة إلى الله، يتنور قلبك بنور الله، ولكن إذا شربته من أجل نفسك يكون كما أردت.

كذلـك حب الزوجـة والأولاد يجب أن يكـون لله وكل عمل تقوم به يجب أن يكون لله أي يجب أن يكون الله ماثلاً في جميع زوايا حياتنا، حتى زيارتك للأئمة عليهم السلام لا بُد أن تكون لوجه الله تعالى من غير أن يكون هناك غرض آخر.

هـنـاك تـفـر الأهـــواء مـنـه والـهـواجـس

ولا تجـــد هـــنـــاك ســـوى واحـــد

ومـا يـريـده تـريـده أنـت ولا تُـريـد غيره

فـــلا يمـلـك هـــوىً بـعـده ولا هـوس

وتـتـفـرق عـنـك الأمـــاني حـتّـى تـريـد

مـــا يـــريـــد هـــو لا مـــا تـــريـــد أنـــت

فـإذا استقرت نفسك فـي مقام الاطمئنان

يـأتـيـك الخـطـاب (فـادخـلـي فـي جنـتـي)

الانقطـاع هو المرتبـة الأولى، حيث تمـوت النفس الأمـارة، وتبدأ

الحيـاة العقلية للإنسان، وفـي أعلى مراتبها استضاءةً بصيرة القلب بنـور لقـاء الله. ويبلغ الإنسان حينهـا أرفع درجة فـي التوحيد وهي مرتبة (أولو العلم) حيث نقرأ في المناجاة الشعبانية:

«**إلهـي هـب لي كمال الانقطاع إليـك، وأنر أبصـار قلوبنا بضياء نظرها إليك**» والمبدأ الأساسي في محبة الله هو معرفته، إذ لا يمكن أن يعرف الإنسان ربه ولا يحبّه، وهذا المعني ينطبق عليه قول الشاعر:

لـو رأيـت يـوسـف ومـيّـزت بـين يـدك

والأتـرجـة، لحـقّ لـك أن تـلـم زلـيخا

وقال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «**من عرف الله أحبّه**».

وأفضـل الطرق إلى معرفة الله كما ذكـره الميرزا حسن الأحقاقي (قدس) في كتابه رسالـة الإنسانية هو التدبر فـي الآفاق والأنفس ومشاهدة خلق العالم الأكبر والعالم الأصغر وحسب التعبير القرآني: ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾[1].

والمرحلـة العليا للمعرفة هـي معرفة مقامات أئمـة الدين، وإنعام النظر فـي سلوك الأنبياء والمرسلين والأوليـاء الطاهرين سلام الله عليهـم أجمعين، الذين بلغوا أعلى مراتـب الكمال وصاروا مرآة تامة للتجليات الغيبة (ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى).

ثـم التعرف على رمـوز العبودية، واقتباسهم مـن القدرة الربوبية حيث يوصل الإنسان إلى مرتبة حق اليقين.

(١) سورة الكهف/ آية ٥١.

قال سيد الموحدين وأمير المؤمنين عليه السلام: «**يا سلمان، ويا جندب**».

معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي بالنورانية.

هـذا النوع من المعرفة يختصـ به الأتقياء فقـط. إن العبد المتّقي الـذي عرف نفسه عـن طريق التقوى وطهارة القـول والعمل والفكر، وكمالات الظاهـر والباطن يعرف مولاه ومربيّـه أيضاً إذ «**من عرف نفسـه فقـد عرف ربه**»، وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم أيضاً ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

وإن أفضـل الأفـراد مـن الرعيـل الأول للإسلام فـي معرفة الله ومعرفة مقام الأدلاء على التوحيد (محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم) والذين بلغوا أعلى قمم الكمال البشري هم سلمان الفارسي ثم أبو ذر الغفاري وعمار والمقداد. وكانت نتيجة ذلك أنهم كانوا أشد المسلمين استقامـة في الجـادة، وأقواهـم التزاماً بالصـراط المستقيم هؤلاء النفر هـم فقط نجوا من الفتنة العظيمة بعد وفـاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

نعـم، يستطيـع الموحد الحقيقـي أن يصل إلى الكمـال عن طريق العمـل وإصلاح نفسه وعندئذ يستطيع رؤيـة الحق تعالى بعين القلب حتـى يعدّ في عـداد الواصلين، قال الإمام الصـادق عليه السلام: «**العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه**».

(١) سورة الحجرات/ آية ١٣.

إذن ليس من سبيل لبلوغ مرحلة المعرفة سوى تطهير مرآة القلب من غبار الرذائل، قال الإمام السجاد عليه السلام في الدعاء الذي نقله عنه أبو حمزة الثمالي «**وأنّ الراحل إليك قريب المسافة، وأنك لا تحتجب عن خلقك إلاّ أن تحجبهم الأعمال دونك**» فليس لله حجاب، ولكن أعمالنا هي التي تحجبنا عنه إذ هي بمنزلة الغطاء للنفوس فما لم يرتفع عنها لا ترى جمال الله، كيف والقلوب كالأواني فإذا كانت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب مشغولة بغير الله لا تدخلها معرفة الله وحبه وأنسه.

وهذا هو قول الشاعر:

جمال الحبيب لا ستر له ولا حجاب

أَزِلْ غُبار الطريق لكي تستطيع النظر إليه

ولأجل إزالة غبار الطريق وجلاء القلب من حجاب الأعمال الرذيلة، يجب قبل كل شيء تخليه القلب من حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة.

نعم، آفة محبة الله هي حب الدنيا، إذا أراد الإنسان الدنيا لله فهذه مقدّمة لوصاله، وإذا أرادها لغير الله فهي آفة لمحبته، ولا فرق في هذا بين حلالها وحرامها، ولكن من الطبيعي أنّ الحرام يبعد الإنسان عن ربّه كما جاء في الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**حُبّ الدنيا وحُبّ الله لا يجتمعان في قلب واحد**»، وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**كما أنّ الشمس والليل لا يجتمعان، كذلك حُبّ الله وحب الدنيا لا يجتمعان**».

● **قصة:**

سأل المرحوم الملا عبدالله التستري من المرحوم المقدّس الأردبيلي في المجلس مسألة، فقال له المقدس: سأجيبك بعد ذلك، وبعد إنتهاء المجلس أخذ بيد التستري وخرج به من المجلس وذهبا إلى الصحراء وهناك شرح جواب المسألة، فقال له الملا عبدالله: لماذا لم تورد هذه المطالب في المجلس؟ فقال المقدس: لو أننا تكلّمنا في المجلس بحضور الناس، فمن المحتمل أن ينبري لكل واحد منّا من ينتصر له من الحضور وهذه النفس الأمارة بالسوءتستغل مثل هذا الظرف، ولم تكن المباحثة خالية من شائبة الرياء، أمّا الآن وفي هذا المكان الخالي من الناس ليس معنا غير الله، فالرياء والشيطان والنفس الأمارة ليس لها أثر في المباحثة.

٣- ذكر الله:

يفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه سبعين ضعفاً. الذكر قسمان:

أ- التفكر في خلق الله وصنعه وآثار قدرته وذكر نعمه وجميل إحسانه وحسن الظن به والرجاء فيه والخوف من مقامه، وأن تذكره عند الطاعة فتفعلها وعند المعصية فتتركها، وأمثال هذا.

ب- ما تتلفظ به من الذكر وأفضله الصلاة على محمد وآله فإنها تكفر الذنوب من دون توبة، ولعن أعدائهم فإنها موجبة للشفاعة في الدنيا بإصلاح الأحوال وقضاء الحوائج ودفع الموانع، وفي الآخرة بالسلامة من النار والفوز بالجنة. فعليك بمواظبتها في كل يوم مائة

مـرة وفـي يوم الجمعة ألف مرة فإنك تشاهد من خواصها وتأثيراتها أمـور عظيمة يقصـر اللسان عن بيانهـا وأدائها كمـا ذكرها السيد كاظم الرشتي في كتابه السلوك إلى الله.

يقـول السيـد إذا كان لك حاجة إلى الله سبحانـه فابدأ بالصلاة علـى محمد وآل محمـد عليهم السـلام بعدد اسمك عارفـاً بحقهم موقنـاً بعظيم منزلتهم عند الله سبحانه ثم تذكر حاجتك ثم تصلي بذلـك العدد عوداً ليكون البـدء والختم بهم تصديقاً لقوله عليه السلام في الزيـارة «بكم فتح الله وبكم يختم» فإن الله تعالى يقضي حاجتك إن شاء الله البتة لأن لهم عند الله مقاماً عظيماً وجاهاً منيعاً.

والذكـر الخاصـ لـكل مطلـوب «**توكلـت علـى الله**» ألـف وثلاثـة وعشرون، ولـكل مخوف «**اعتصمت بالله**» ألـف وتسعة وستون ولدفع المكاره الدنيا والآخرة تقولها ٤٣ مرة وإن قلتها بحساب الجمل[١] فهو أنجح.

عند المضائق تقول «**حسبي الله**» مائة وست وأربعون مرة تنفرج.

وتقول للنوائب والحوادث اثنين وأربعين مرة «**توكلت على الله**».

وإن قلتها بعدد الجمل الكبير فهو أنجح.

هذه الأذكار ومـا أشبهها سريعة الإجابة بشـرط الإقبال والتوجه التام عند كل لفظه تذكر مطلوبك من غير تصور له ولا لنفسك وإنما تتوجه إلى معطي الخيرات جل وعلا.

(١) حساب الجمل: هو عدد الأشياء بالحروف الأبجدية المجموعة في أبجد هوز حطي كلمن المشتملة على ثمانية وعشرون حرفاً.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أصْلُ صلاح القلب اشتغاله بذكر الله**».

ومن خلال شعور الإنسان بالحضور الدائم عند البارئ تعالى يتحرر من قيود النفس والشيطان وهذا التحرر هو علاج له من كل الأمراض النفسية حيث قال الإمام علي عليه السلام في هذا المعنى:

- «**ذكر الله مطردة الشيطان**».
- «**ذكر الله دواء أعلال النفوس**».
- «**يا من اسمه دواء وذكره شفاء**».

المداومة على ذكر الله تفيض على القلب الحياة الإنسانية، وتنيره وتقوي الروح وتجعل الذاكر مأنوساً بذكر الله.

قال الإمام علي عليه السلام: «**ذاك العارف بالله والمطلّع على أمراض النفس البشرية**».

وفي هذا المجال:

- «**من ذكر الله سبحانه أحيا الله قلبه ونوّر عقله ولبّه**».
- «**مداومة الذكر قوتُ الأرواح**».
- «**الذكر مفتاح الأنس**».
- «**من أكثر ذكر الله أحبه**».

إن ما جاء في هذه الأحاديث يمثّل جانباً قليلاً من انعكاسات ذكر الله التي تعود بالخير والبركة على حياة الإنسان وبناء ذاته.

● **للتغلب على الأهواء النفسية:**

١- المداومة على ذكر «**لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم**».

٢- الإكثار من ذكر «**يا دائم يا قائم**».

٣- لقمع النفس المتمردة قل في الصباح والمساء ثلاث عشرة مرة أو مئة مرة «**اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان**».

٤- قل في كل ليلة مئة مرة «**يا زكيّ الطاهر من كل آفة بِقُدسه**».

لا محبوب حقيقة إلا الله

اعلم أنه لا مستحق للحب غير الله سبحانه، ولا محبوب بالحقيقة عنـد ذوي البصائر إلا هو، ولو كان غيره تعـالى قابلاً للحب وموضعاً لـه فإنما هو من حيث نسبته إليه تعالى، فمن أحب غيره تعالى لا من حيـث نسبته إليه، فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله، وكيف يكون غـيره سبحانه مـن حيث هو لا من جهة انتسابه إليـه مستحقاً للحب وهـو في نفسه مـع قطع النظر عنه تعالى وعـن انتسابه إليه ليس إلا العدم، والعدم كيف يصلح للحب، فينبغي أن يكون حبه لعموم الخلق بعموم النسبة، أي من حيث أنها منه تعالى واثاره ومعلولاته وأضوائه وظلالـه، ولخصوص بعض الخواص الذين لهم خصوصية نسبة إليه تعالى كالحب والأنس والمعرفة والإطاعة لخصوص النسبة أيضاً.

اعلـم أن جميع أسباب الحب مجتمعة في حق الله تعالى ولا توجد في غيره حقيقة ووجودها في حق غيره وهم وتخيل ومجاز محض لا حقيقة له.

السبب الأول: محبة النفس: فمعلوم أن وجود كل أحد فرع لوجود ربـه وظل له ولا وجود له من ذاته، بـل هو من حيث ذاته ليس محض وعدم صرف، فوجوده ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وبالله وإلى الله فهو الموحد المخترع له، وهو المبقي له، وهو المكمل لوجوده بإيجاد صفات الكمال فيه، فهـو صرف العدم لولا فضل الله عليه بالإيجاد، وهالـك بعد وجـوده لولا فضله عليه بالإبقـاء، وناقص بعد بقائه لولا فضله عليه بالتكميل.

فليس في الوجود شيء له قوام بنفسه إلا القيوم المطلق الذي هو قائم بذاته ومقوم لغيره. وحينئذ، فمحبة كل شيء لنفسه ترجع إلى محبة ربه، وإن لم يشعر المحب به، وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه؟

السبب الثاني والثالث: أعني الالتذاذ والإحسان سواء كان متعدياً إلى المحب أم لا: فمعلوم أنه لا لذة ولا إحسان إلا من الله تعالى، ولا محسن سوى الله فإنه خالق الإحسان وذويه، وفاعل أسباب ودواعيه، وكل محسن فهو حسنة من حسنات قدرته وحين فعاله، وقطرة من بحار كماله وأفضاله.

السبب الرابع: أعني الحسن والجمال والكمال، فلا ريب في أنه تعالى هو الجميل بذاته والكمال بذاته، وهو الجمال الخالص والكمال المطلق وحقيقتهما منحصرة به تعالى، وما يوجد في غيره تعالى من الجمال والكمال لا يخلو عن شوائب الخلل والنقصان، إذ النقص شامل لجميع الممكنات وإنما تتفاوت في درجات النقص، وقد عرفت أن الجمال المعنوي أقوى من الجمال الصوري ومن كان من أهل البصيرة والكمال يكون حبه للجمال الباطن والمعنوي أكثر وأقوى ممن حبه للجمال الصوري، وحقيقة الجمال المعنوي الذي هو وجوب الوجود ولجمال العلم والقدرة، والاستيلاء على الكل، واستناد الجميع إليه، منحصر بالله تعالى، فإذا كان الجمال المشوب بالنقص محبوباً، فكيف لا يكون الجمال الخالص البحت الذي لا يتصور جمال فوقه محبوباً، بل المحبوب حقيقة ليس إلاّ هو.

إن خمركم الملوث بالغبار يجنني!!

فلست أدري ما هو مفعوله إن كان صافياً؟

على أن كل جميل بالجمال الظاهر الصوري أو الجمال الباطن المعنوي رشحه من رشحات جماله، وكل كامل فكماله فرع كماله، فكل من أحب جميلاً أحب خالقه ما أحب أحداً غير الله تعالى، لكنه احتجب عنه تحت وجوه الأحباب وأستار الأسباب، هذا مع أن عمدة جمال المخلوقين إنما هو علمهم بالله وبصفاته وأفعاله، وقدرتهم على إصلاح نفوسهم بإزالة الرذائل والخبائث الشهوية المانعة عن التقرب إلى الله تعالى، وباتصافهم بمعالي الصفات وشرائفها المقربة إلى الله، وعلى إصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة، ومعلوم أن هذه الأمور إضافات إلى الله سبحانه فحبها يرجع إلى حبه تعالى.

السبب الخامس: المناسبة الخفية والمجانسة المعنوية: فلا ريب في أن للنفس الناطقة الإنسانية مناسبة مجهولة خفية مع باريها وموجدها، إذ هي شعلة من شعلات جلاله، وبارقة من بوارق جماله ولذا قال الله سبحانه: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[1] وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾[2] إذ لم يستحق آدم خلافة الله لا بتلك المناسبة، وبهذه المناسبة ينقطع العبد إلى ربه، ويعرف عند ابتلائه بمصيبة وبلية، وهذه المناسبة لا تظهر ظهوراً تاماً إلا بالمواظبة على النوافل بعد أحكام الفرائض كما قال الله تعالى: «**لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع**

(١) سورة الإسراء/ آية ٨٥.
(٢) سورة البقرة/ آية ٣٠.

به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به» وهذا موضع تزل فيه الأقـدام حتى وقع قوم فـي التشبيه الظاهر، وآخرون فـي الحلول والاتحاد، وأهل الحق الذين انكشفت لهم استحالة التشبيه والاتحاد، وفساد طرفـي التفريط والإفراط، واتضحت لم حقيقة السر، وعرفوا تلك المناسبة واستقاموا عليها هم الأقلون.

ثم من المناسبة الظاهرة التي بين العبد وبين ربه هو قرب العبد من اللّه فـــي الصفات الربوبية والأخلاق الإلهية: كالعلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والحرمــة على الخلق وإرشادهم إلى الحق.. إلى غير ذلك من الصفات الإلهية، ولذا قيل: تخلقوا بأخلاق اللّه، ولا ريب فـي أن ذلك يقرب العبد إلى اللّه ويصيره مناسباً له، وأما العلية والمعلوليــة فالأمر فيــه ظاهر وباقي الأسباب أسبــاب ضعيفة نادرة، اعتبارها فـي حق اللّه نقص.

الطريق إلى الرؤية واللقاء

الطريق إلى تحصيل محبة الله وتقويتها ثم استعداد الرؤية واللقاء أمران:

١- تطهير القلب من شواغل الدنيا وعلائقها والتبتل إلى الله بالذكر والفكر، ثم إخراج حب غير الله من القلب، إذ القلب مثل الإناء الذي لا يسع الماء مثلاً، ما لم يخرج منه الخل، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وكمال الحب في أن يحب الله بكل قلبه، وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره، وبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله.

٢- تحصيل معرفة الله وتقويتها وتوسيعها وتسليطها على القلب، والأول، أعني قطع العلائق بمنزلة تنقية الأرض من الحشائش، والثاني أي المعرفة بمنزلة البذر فيها ليتولد منه شجر المحبة، ثم لتحصيل المعرفة طريقان:

أ- الأعلى وهو الاستدلال بالحق على الخلق وذلك بأن يعرف الله بالله وبه يعرف غيره أي أفعاله وآثاره، وإلى هذا أشير في الكتاب الإلهي بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

وهذا الطريق غامض، وفهمه صعب على الأكثرين.

ب- وهي الأدنى، الاستدلال بالخلق على الحق سبحانه وهذا الطريق في غاية الوضوح، وأكثر الأفهام يتمكن من سلوكه، وهو

(١) سورة فصلت/ آية ٥٣.

متسع الأطراف إذ ما من ذرة من أعلى السموات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات وغرائب بينات تدل على وجود الواجب وكمال قدرتـه وغاية حكمتـه ونهاية جلالـه وعظمتـه وذلك ممـا لا يتناهى ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي ﴾[1].

وعـدم وصول بعض الأفهـام من هذا الطريـق إلى معرفة الله مع وضوحـه، إنما هو للإعراض عن التفكـر والتدبر والاشتغال بشهوات الدنيـا وحظوظ النفس، ثـم سلوك هذا الطريـق أي الاستدلال على الله تعـالى وعلى كمال قدرته وعظمتـه، بالتفكير في الآيات الآفاقية والأنفسية، خوض في بحار لا ساحل لها، إذ عجائب ملكوت السموات والأرض ممـا لا يمكن أن تحيط بـه الأفهام، فإن القـدر الذي تبلغه أفهامنـا القاصرة من عجائب حكمته الباهـرة تنقضي الأعمار دون إيضاحـه، ولا نسبه لما أحاط به علمنـا إلى ما أحاط به علم العلماء، ولا نسبـة له إلى ما أحاط به علم الأنبيـاء، ولا نسبة له إلى ما أحاط بـه علم الخلائق كلهم، ولا نسبة لـه إلى ما استأثر الله بعلمه، بل كل ما عرفه الخلائق جميعاً لا يستحق أن يسمى علماً في جنب علم الله.

(١) سورة الكهف/ آية ١٠٩.

الخاتمة

خلاصة البحث أن اللّه سبحانه وتعالى لا يُعرف من جهة ذاته وهو المجهول المطلق، لا يعرف إلا بالجهل به، ولكن لم يكن إدراكه لغيره ولا يقوم النظام إلاّ بمعرفته وصف نفسه لعباده، وهذا الوصف هو حقيقة عبده، فقد وصف نفسه لك بكنهك فمن عرف نفسه فقد عرف ربه لأن الشيء لا يُعرف إلاّ بوصفه وأنت وصفه الذي تعرف به لك.

أما الذين قالوا بوحدة الوجود من الحكماء والصوفية، وزعموا أنّ حقيقة الموجودات أعم من الرب، والمربوبين، والخالق والمخلوقين، واحد في نفس الأمر، وإنما اختلفت باختلاف الصور والقابليات، ومثلوا ذات الرب سبحانه بالماء، ومختلف الموجودات بالثلج، فإذا ذاب الثلج وسال رجع إلى أصله وهو الماء.

قال شاعرهم مخاطباً ربه:

وما الناس في التمثال إلا كثلجه وأنت لها الماء الذي هو نابعُ

ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع

وقال بعضهم:

«**أنا العابد وأنا المعبود**» وقال غيره: «**أنا غافر، أنا مذنب**».

وهذه العقيدة مخالفة للعقل والشعور المسالم، ولما جاءنا من السماء البيان والمعرفة.

وقال بعض الحكماء: «**من عرف نفسه إنها مخلوقة، عرف أن لها خالقاً، أو عرف نفسه بالعجز والاحتياج، عرف ربه بالقدرة والغنى**».

وقالـوا: من عرف أن روحه، أو حقيقته، في كل موضع من جسده، وليس في موضع معين، عرف بأنّ اللّه في كل مكان، ولا يحويه مكان.

ولكن أفضل تفسير لهـذه الكلمة الخالدة هو: إنّ حقيقة العالم هو نور خلقه اللّه بمشيئته ونسبه لنفسه وأودع فيه أجمل الصفات وجعله مثـالاً له في الأفعال، فنظر إليه بنظر الرحمة فتلألأ وتشعشع، فخلق مـن أشعته الخلائـق بأنواعهـا ومراتبها، فامتاز كل مـن الموجودات بصورته التي اختاره بحسب قابليته.

فحقيقة كل مؤمن من شعاع ذلك النور، فإذا عرف نفسه أي حقيقته عـرف ربـه، لأن نفسه مثال لمثال ربه، قد خصـص بالصفات الكمالية. والطرق إلى هذه المعرفة، رفع الحجب عن وجهها، وكنس غبار الأنية عنهـا، وذلك بالرياضات الشرعية (العمـل بالواجبات والتجنب عن المحرمـات، والتلبس بالأخلاق الفاضلـة والصفات الملكوتية، والقيام بالمستحبـات وترك المكروهـات، والإكثار من النوافـل لأنها موجبات القرب إلى اللّه كما قال سبحانه: «**لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتـى أحبّـه، فـإذا أحببته كنت سمعـه الذي يسمع بـه وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها**».

والإخلاص في أقواله وأعماله ومنوياته حتى يغرق في بحر المحبة وينسـى نفسيته وأنيته فهناك يعرف نفسـه، ويمثل ربه في الصفات والأفعال، فمعرفة نفسه في هذه الحالة هي معرفة ربه كما يقول جل وعـلا «**عبـدي أطعني تكن مثلي أنـا أقول للشيء كـن فيكون، وأنت تقـول للشـيء كن فيكـون**» فذاته عز وجل أجـلّ أن يعرف، لا يعرف ذاتـه لا نبي مرسل ولا ملك مقرّب ولا يتصور، ولا يشار إليه بل العبد

يتصف بالصفات المخلوقة المحبوبة المنسوبة إلى المولى من العدل والكرم والرأفة والرحمة ويعرفه بها.

ولهذه المعرفة دراجات راجعة إلى اختلاف القابليات ومقامات الواصلين ولذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «**أعرفكم بنفسه، أعرفكم بربه**» فكل من هو أشد في تصفية نفسه في إعراضه عن العلاقات الدنيوية والعواطف السلبية فهو أحق بالتجليات الربوبية وأقوى في معرفتها. مثالها المرآة أمام الشمس، فإن صورة الشمس فيها هي مثال تجليات الشمس، فإذا كانت صافية (أي المرآة) ليس عليها غبار، فمن رآها فكأنما يرى الشمس، وعرفها وليست الشمس في المرآة وليست المرآة عرفت ذات الشمس، بل عرفت آثارها من الحرارة والأشعة، وله المثل الأعلى في السموات والأرض (الله نور السموات والأرض) وأصفى مرآة في عالم الوجود هي نفس سيّد الكائنات وأشرف الموجودات لتلك التجليات ولهذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «**من رآني فقد رأى الحق**» ومن بعده في الصفاء أخوه وقرينه أمير المؤمنين علي عليه السلام ولكمال معرفته يقول: «**لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً**»، ومن بعده أولاده عليهم السلام.

إذن فمعرفة هذا الموجود الكامل وأهل بيته المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وجعلهم بمنزلة نفسه وخلفائه وأوصيائه قد ورثوا علمه ومراتبه المنيعة إلاّ النبوة، وكلهم آياته العظمى وحججه الكبرى، وصفاته العليا، مصادر فيضه ومظاهر عدله، ومرائى جماله، ومحال مشيئته وأفعاله، فمن عرفهم فقد عرف الله، ومن أحبهم فقد أحب الله ومن أبغضهم فقد أبغض

الله، لأنهم وجه الله الباقي وأذن الله السامعة وعينه الناظرة ولسانه الناطق ويده الباسطة.

فقال عليه السلام: «**بنا عرف الله، وبنا عبد الله، ولولانا ما عرف الله ولولانا ما عُبد الله**» والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

اللهم نبتهل إليك وندعوك في صلواتنا المكتوبة والمندوبة في آناء الليل وأطراف النهار، ونستشفع إليك بحبيبك ورسولك محمد وآله الطيبين الطاهرين أن تثبتنا على صراطك المستقيم الذي رحمتنا به فهديتنا إليه، وتتم لنا نورنا يوم تفضح السرائر وتقام الموازين بالحق. إنك حميد مجيد وأنت يا رب أرحم الراحمين.

الأمة الفقيرة المقرة بالعجز
والتقصير المحتاجة إلى رحمة ربها
وإلى دعائكم
زمزم القطان

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
- المقدمة	١١
- جوهر الإنسانية	١٥
- حديث كميل حين سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحقيقة	١٧
- ما الحقيقة التي سأل عنها كميل بن زياد النخعي؟	١٩
- الكلام حول النفس وماهيتها	٢٣
- النفس وأنواعها	٢٧
- ما هي مراتب النفس في الذكر الحكيم؟	٣١
- في بيان حقيقة العالم والنفس الناطقة	٣٩
- من عرف نفسه فقد عرف ربه	٤١
- بيان حقيقة النفس	٤٧
- بيان كيفية الوصول إلى معرفة ذلك الأنموذج الفهواني	٥١
- بيان ترقيات النفس	٥٧
- معرفة النفس ومعرفة الله	٦١
- النفس والقرآن الكريم	٦٥
- تعريف النفس الإنسانية	٨٩
- النفس الإنسانية ثعبان فمتى مات	٩١
- ظلم النفس	٩٣
- جهاد النفس	٩٧

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
- بيان عجز الإنسان من حيث هو، وعلو شأنه من حيث ارتباطه بالمبدأ الأعلى وتعلقه به	١٠١
- لا يكمل إيمان المؤمن حتى تكون فيه ثلاث خصال	١٠٧
- من أين لنا أن نأخذ بالأخلاق الإنسانية؟	١١٩
- تأويل قوله تعالى ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾	١٢٣
- شرح قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «وفيك انطوى العالم الأكبر»	١٢٩
- ذكر بعض الطرق إلى الله تعالى	١٤١
- ما هي الشروط لكي يستمر السالك في طريق الله وإلى الله في حركته نحو المحبوب؟	١٤٩
- مراتب أهل السلوك	١٥٧
- بيان أن الله خلقنا للسعادة الدائمة أعدّها لنا وأعدّنا لها	١٥٩
- اتخذ الله تعالى أهل العصمة (ع) أعضاداً لخلقه	١٦٣
- كيف تعرف الله بالله؟	١٦٥
- يا من دلّ على ذاته بذاته	١٦٧
- في رحاب السير والسلوك	١٧١
-أساس بناء الذات	١٨٩
- لا محبوب حقيقة إلا الله	٢٠٧
- الطريق إلى الرؤية واللقاء	٢١١
- الخاتمة	٢١٣

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- جوامع الكلم - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي.

٣- أصول الكافي - ثقة الإسلام إسحاق الكليني الرازي.

٤- رسالة الإنسانية - الإمام المصلح الحاج ميرزا حسن الإحقاقي.

٥- شرح رسالة التوحيد - الشيخ علي نقي بن الشيخ الأوحد.

٦- مصباح الشريعة - للإمام جعفر الصادق عليه السلام.

٧- زيارة الجامعة الكبيرة - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي.

٨- شرح الفوائد - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي.

٩- كيفية السلوك إلى الله - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي.

١٠- رسالة عبدالله بك - السيد كاظم الحسيني الرشتي.

١١- السلوك إلى الله - السيد كاظم الحسيني الرشتي.

١٢- جامع السعادات - الشيخ محمد مهدي النراقي.

١٣- مرآة الكمال - الشيخ عبدالله المامقاني.

١٤- الطريق إلى الله تعالى - الشيخ حسين البحراني.

١٥- المخازن - الميرزا حسن الشهير بـ (كوهر).

١٦- شرح حديث عمران الصابي - السيد كاظم الحسيني الرشتي.

١٧-كيمياء المحبة - الشيخ محمد الريشهري.

١٨- كشكول الإحسائي - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي.

١٩- صحيفة الأبرار - الميرزا محمد تقي المامقاني.

٢٠- رحلة في الآفاق والأعماق (شرح دعاء كميل) - حسين أنصاريان.

٢١- الأسرار الفاطمية - محمد فاضل المسعودي.
٢٢- أصول الدين - الميرزا حسن الحائري الإحقاقي.
٢٣- وصال العاشقين - الشيخ محمد تقي بهجت.
٢٤- السفينة السائرة في فضائل العترة الطاهرة - الشيخ كاظم حمد الإحسائي.
٢٥- مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي.
٢٦- معارف من القرآن - السيد عبدالحسين دستغيب.
٢٧- في دائرة الضوء - أحمد بن زين الدين الإحسائي ، محمد علي إسبر.
٢٨- الإيمان - المولى الحاج ميرزا الإحقاقي.
٢٩- كلمات محكمات - الحاج ميرزا علي الإحقاقي.
٣٠- الأخلاق والآداب الإسلامية - هيئة محمد الأمين.

ما الحقيقة؟